

رمضان ١٤٠٣هـ يونيه/يوليه ١٩٨٣م

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العدد التاسع/المجلد الحادي والثلاثون
رمضان ١٤٠٣هـ يونيه/يوليه ١٩٨٣م

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: إسماعيل إبراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبو كشك

صورة الغلاف:



تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



١٠ الأهوار .... أرض البحيرات والمستنقعات



٢٥ تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية



القرآن العظيم دستور رب العالمين، وهو أكبر منظم ومقنن للعلاقات الأسرية، وقد شملت تنظيماته جميع الحقوق الأسرية، في مختلف المجالات ..

ومن أبرز القضايا التي اهتم بها القرآن وقننها ووضح أحكامها «قضية الإرث». ان الأسرة في نظر القرآن الكريم تنقسم قسمين .. قاصرة، وممتدة .. والأسرة القاصرة .. هي التي تشمل الزوجين وأولادهما، الصغار والكبار. أما الأسرة الممتدة .. فهي كل ما يشمل ذوي القربى جميعا، من أصول وفروع وحواش قريبة وبعيدة بحيث يشمل (الأقربين).

وقد نزل القرآن منظما العلاقة الأسرية بين القسمين جميعا، متعرضا لأحكام الزوجين والأولاد .. ولم يغفل أحكام بقية «ذوى القربى». فقد حث على مراعاة صلة الأرحام خاصة بالنسبة لذوى القربى، الذين يندرجون تحت الأسرة القاصرة أو الممتدة. وأوجب مراعاة هذه الصلة الأسرية، التي أوجدتها الفطرة، مهما تعددت الفروع وتشعبت .. يقول الحق تبارك وتعالى: **«وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» (١)**

وجعل سبحانه اعطاء ذوي القرابة بسبب القرابة من أقرب القربات إلى الله تعالى. **«ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة» (٢)**، فهنا نجد ان القرآن العظيم جعل من أول أبواب البر .. اعطاء ذوي القربى بسبب القرابة – لا لفقرهم، ولا لحاجتهم، ولكن صلة لهم، وابقاء لصلة المودة في القربى أن تبقى ..

والناظر المتأمل في كتاب رب العالمين يجد أن الوصية بأولي القربى كثيرة في آياته .. من مثل قول الحق عز شأنه: **«وبالوالدين احسانا وذي القربى» (٣)** وقوله تبارك وتعالى: **«قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى» (٤)** فجعل الرحمن الرحيم «المودة في القربى» أجرا يعطيه العبد لربه.

وقوله سبحانه في تقسيم الإرث: **«وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا» (٥)**.

وقد حدد القرآن الحكيم مجموعة من الحقوق والواجبات لذوي القربى :

أولها : ان الله — جلت حكمته — أوجب للفقير العاجز عن الكسب نفقة على قريبه الغني . وقد ورد ذكر ذلك — في القرآن — في قول اللطيف الخبير : **« ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ، أو بيوت أمهاتكم ، أو بيوت اخوانكم ، أو بيوت أخواتكم ، أو بيوت أعمامكم ، أو بيوت عماتكم ، أو بيوت أخوالكم ، أو بيوت خالاتكم .. » (٦) .**

فالقرآن العظيم هنا ينص صراحة ، أنه لا اثم على من يأكل من بيوت هؤلاء عند الاحتياج ونفي الاثم يدل على أنه حق .. إذ أن تناول الحقوق لا اثم فيها ..

فإذا قيل .. ان ذلك ليس مقتصرا على القرابة ، بل شمل الصديق ، فدل على ان الحق ليس سببه القرابة ..

قلنا .. ان ذلك الحق سببه العجز ابتداء ، ولذلك ذكر في أول الآية ذوي العجز عن الكسب .. الأعمى ، والأعرج ، والمريض .. فان الكلام كله في أهل العجز ، ولكن الأخذ كان للقرابة ابتداء ، فان لم تكن له قرابة يلزمها الشرع .. كانت المودة التي توجبها الصداقة مبررا للأكل ، وان كان لا يلزم الصديق بذلك قضاء ، فانه يجب عليه دينا ، ويأثم فيما بينه وبين الله ، ان كان قادرا . ومع ذلك يترك صديقه يتضور جوعا ، ولذلك كانت المؤاخاة في الإسلام . وفي ذلك ارشاد خلقي اجتماعي حكيم لواجبات الأصدقاء نحو أصدقائهم .

والحق الثاني والأهم .. حق الميراث : وقد وضح هذا الحق في القرآن ، وفسرته السنة المطهرة — ففي السنة تفصيل لمجمل القرآن ، وتطبيق لأحكامه ، وتوضيح لما عساه يستغلق على بعض الأفهام ، أو لما يحاول به بعض الناس من انحراف عن أحكام القرآن ..

في آية المواريث يقول الحق تبارك اسمه : **« يوصيكم الله في أولادكم : للذكر مثل حظ الأنثيين . فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك .. وان كانت واحدة فلها النصف .. ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك — ان كان له ولد .. فان لم يكن له ولد وورثه أبواه .. فلأمه الثلث .. فان كان له اخوة .. فلأمة السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين .. آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فريضة من الله ، ان الله كان عليما حكيما . ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد .. فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين .. ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد .. فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ، من بعد وصية توصون بها أو دين .. وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت ، فلكل واحد منهما السدس . فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها ، أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم . تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » (٧) .**

في هذه الآيات البينات ، حدد دستور السماء حق الإرث للأولاد ، والأبوين ، والزوجين ، وميراث أولاد الأم .. فالكلالة هنا أولاد الأم ، كما ذكر النبي المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، عند تطبيقه لأحكام القرآن في الميراث .

وفي القرآن الكريم اشارة إلى كلالة ثانية ، وهي كلالة الأخوة والأخوات الشقيقات ، أو الأب وقد أفتانا فيها الحق تبارك وتعالى : « **يستفتونك .. قل الله يفتيكم في الكلالة .. ان امرؤ هلك ليس له ولد .. وله أخت فلها نصف ما ترك .. وهو يرثها ان لم يكن لها ولد .. فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك .. وان كانوا اخوة رجالاً ونساء ، فللذكر مثل حظ الانثيين .. يبين الله لكم أن تضلوا .. والله بكل شيء عليم » (٨)**

وهنا لابد أن نتذكر قول الرحمن الرحيم جلت حكمته : « **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » (٩)** فهذه الآية الكريمة — كما تدل على المودة بين أولي القربى .. تدل على أحقية الميراث أيضاً ولذا اقترن بها قول الحق سبحانه « في كتاب الله » وبهذه الآيات المحكمات ندرك أن القرآن العظيم قد حدد قضية الإرث تحديدا قاطعا ، ووضح عناصرها ، وتولى صياغة الأحكام الالهية في الملكية بالخلافة الاجبارية ، ان اجمالا ، وان تفصيلا ، وقد تولى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، تطبيق هذه الأحكام ، وبينها لصحابته .. ولنضرب لذلك بعض الأمثال :

* استند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إلى قول الله عز شأنه : « **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** » فقرر : أنه بعد أن يستوفي أصحاب الفروض فروضهم ، ولم يكن أب أو ابن ، ان الميراث يكون لأقرب رجل ذكر ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « فإن بقى بعض أصحاب الفروض فلأقرب رجل ذكر » .

ولاشك أن ذلك الحديث النبوي تطبيق دقيق لهذه الآية الكريمة ، فالأولوية تقتضي أن يكون الأقرب أحق بالميراث ، أو بما يبقى منه .

* سئل عبد الله بن مسعود — رضي الله

عنه – عن بنت وأم وأخت شقيقة ، فجعل الأخت الشقيقة قائمة مقام الأخ الشقيق ، تأخذ الباقي ، وقال : « ذلك قضاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » .

• ثبت بالسنة المطهرة ، أن المتوفى إذا ترك بنتا ، وبنت ابن مات أبوها .. فان البنت يكون لها النصف ، ولبنت الابن السدس ، تكملة للثلثين اللذين يكونان للبنات ، فإذا أخذت الواحدة النصف ، فانه لا يذهب باقي الثلثين ، بل يكون لبنت الابن ، لأنها بنت للمتوفى مجـــازا . وذلك تطبيق للنص القرآني .

• ثبت أيضاً – أنه إذا كان للمتوفى أم ، وأخت شقيقة ، استحقت النصف فقط ، وهناك أخت لأب ، فانها تأخذ السدس تكملة للثلثين ، حتى لا يذهب ما فوق النصف . وذلك بتطبيق رسول الله ، لقوله تعالى : « **فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك** » .

وبهذا يتضح أن القرآن الكريم قد وضع قانون الإرث ، وحدد أحكام المواريث بالتفضيل في أصحاب الفروض ، والعصبة في الأولاد والآباء ، وحدد هذه الأحكام بالاجمال في باقي الأحكام ، وقد تولت السنة المطهرة تطبيق هذه الأحكام ، وكانت بيانا للناس . ومن هذا التقسيم والتحديد القرآني يتجلى عدة أمور :

أولها : أن القرآن الكريم والسنة المطهرة قد جعلا للنساء ميراثا – دليلا على عظمة الإسلام ، ولم يكن العرب في الجاهلية يعطون للنساء ميراثا ، وأن التوزيع العادل – وهو بصدد تكريم الأمومة وقرابتها ، جعل لأولاد الأم ميراثا لا يقل عن السدس ، ولا يزيد على الثلث وجعلهم يستحقونه بوصف أنهم كلالة ، أي لا يوجد ميراث بأصول وفروع ، ومع ذلك جعلهم يرثون مع وجود الأم .

وثانيها : أن القرآن والسنة قد خصصا الميراث للأقرب فالأقرب ، لأن العبرة في استحقاق الميراث أن يكون – لمن بعد وجودهم – امتدادا لحياة المتوفى في الوجود – ولذلك كان أكبر الأسرة حظا في الميراث الأولاد ، وأولادهم الذين ينتسبون إليه .

ومع أن أولاد الموروث أكثر الأسرة حظا في الميراث ، إلا انهم لا ينفردون به ، بل يشاركهم فيه الأبوان والزوجان ، وانهم ليشاركونهم بمقدار قد يصل إلى النصف ، أو إلى ما يقرب منه . ولقد شاءت حكمة الحق في مشاركة غيرهم لهم لمنع تركيز المال في ورثة بأعيانهم ، فالأبوان إذ يأخذان مع الأولاد الثلث ، يكون من بعدهما لأولادهما ، وهم غالبا اخوة المتوفى ، فيكون الاشتراك في المال بدل الانفراد . وإذا لم يكن أب ، فقد يأخذ اخوة مع الأولاد ان كانوا اناثا ، بذلك يتبين أن كون الميراث للأقرب لا يمكنه من الاستئثار بالتركة وحده .

وثالثها : وملاحظة جديرة بالتأمل والاعتبار ، وهي أن توزيع الميراث في الإسلام يكون بمقدار الحاجة ، فكلما كانت أشد كان قدر الميراث أكبر ، ولعل ذلك هو السر في أن نصيب الأولاد كان أكبر من نصيب الأبويين – مع أنه من المقرر شرعا أن للأبوين في مال أولادهما نوع مالك – كما ورد في الحديث الشريف : « أنت ومالك لأبيك » .. ولكن حاجة الأولاد إلى المال أشد ، لأنهم في غالب الأحوال ذرية ضعاف يستقبلون الحياة ، ولها تكليفاتها المالية ، والأبوان يستدبران الحياة ، ولهم فضل من المال ، فحاجتهما إلى المال ليس كحاجة الذرية الضعاف .

ومن المهم أن نذكر – في خاتمة هذا البحث – أن رعاية الله للأكثر احتياجـــا هي التي جعلت نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى ، وذلك لأن التكليفات المالية على الذكور ، وتكليفات الرجل المالية أكثر من تكليفات المرأة . فالرجل هو المطالب بنفقة المرأة نفسها ، وهو المطالب بنفقة الأولاد ، وهو الذي يمد الأسرة بكل حاجاتهم ، وان الفطرة الانسانية هي التي جعلت المرأة قوامة على البيت ، والرجل كادحا عاملا لتوفير القوت . فكانت قاعدة أن العطاء في الميراث على قدر الحاجة .. موجبة لجعل حق الرجل أكبر من حظ المرأة ، فالأخ يحتاج إلى المال أكثر من أخته ، وأن ملاحظة الحاجة هي العدل ، والمساواة عند تفاوت الحاجة هي الظلم .

وأخيرا .. فان المشرع في الإسلام قد اتجه إلى التوزيع بين الأقارب بدل التجميع .. فهو لم يجعل وارثا يستبد بالتركة كلها ، فلم يجعل الميراث للولد البكر دون غيره ، ولم يجعل التركة كلها للأولاد دون الآباء . ولم يجعل يد الموروث مطلقة يختص بتركته من يشاء ، ويحرم من يشاء ، بل جعل نظام الميراث اجباريا في ثلثي التركة ، ووزع الثلثين من التركة بين عدد من الورثة ، والصورة التي يختص بالتركة فيها واحد فقط نادرة ، وهي تكون حيث يقل الأقارب ، وفي هذه الحال تكون ثمة وصية للأقارب غير الوراثين . وهنا تتجلى حكمة الحق سبحانه في توزيع الإرث ، كما حدده القرآن ، وبينته السنة المطهرة . ان الميراث يتوزع ولا يتجمع ، لأن التجمع في وارث واحد يكون فيه بلا ريب ظلم للباقين □

---

(١) الأنفال / ٧٥ . (٢) البقرة / ١٧٧ .
(٣) البقرة / ٨٣ . (٤) الشورى / ٢٣ .
(٥) النساء / ٨ . (٦) النور / ١٦
(٧) النساء / ١١ – ١٤ .
(٨) النساء / ١٧ . (٩) الأنفال / ٧٥ .

اللغة بين الفرد والمجتمع

(١)

بقلم : د. كمال بشر / القاهرة

اللغة خاصة من أهم خواص الانسان ، تعيش به ومعه اينما حل وأنّى ارتحل . وهي في نظر الكثيرين تبدو شيئا طبيعيا ، لا تنتظم سرا من الأسرار ، ولا تستأهل نظرا أو تأملا . ذلك أنهم يمارسونها في كل حين وآن في سهولة ويسر ، ويتوارثونها جيلا عن جيل ، دون عناء ملحوظ أو جهد ذي بال . ومن النادر أن يشغل الرجل العادي نفسه بمادتها ومكوناتها الصوتية واللفظية والتركيبية والدلالية . ومن النادر كذلك أن يفكر فيما تحققه له هذه اللغة من غايات وأهداف ، وما تنجزه من أغراض وأعمال . وفي كليمات يسيرة : انه يعرفها ، بمعنى أنه يستخدمها ويتحدث بها ولكنه لا يعرف عنها شيئا ، انه يعرفها بالممارسة والاستعمال الدائم الدائب ولكنه لا يدري ماكنهها أو حقيقتها ، ولا يدرك بقدر كاف ، ما دورها في الحياة أو المجتمع الانساني .

انه يتكلم ، أي ينطق أصواتا مرتبطة بمعان ، ولكنه لا يعرف ميكانيكية هذا النطق ، ولا يدري كيف وإلى أي حد قام هذا العضو أو ذاك من أعضاء النطق بدوره في هذه العملية ، بل انه قليلا ما يفكر في هذا كله أو بعضه ، متقبلا الأمر كما لو كان شيئا طبيعيا لا يدعو إلى التفات أو توجيه نظر إليه . وان هذا الرجل العادي كذلك يسمع الجملة أو العبارة فيفهمها ، ولكنه لا يعي كيف تم له ذلك ، ولا يدرك كيف استطاعت هذه الأصوات المنظومة نظما معينا أن تنقل إليه فكرة أو أن تدفعه إلى القيام بعمل ما ، أو أن تدعوه إلى استجابة معينة ، أو أن تعينه على تصريف أموره وتنفيذ شئونه في هذه الحياة .

وحقيقة الأمر أن اللغة شيء معقد مركب إلى أقصى حد ، شأنها في ذلك شأن طيف الشمس : تلحظه لأول وهلة ، ولكنك لا تدرك حقيقته إلا إذا حللته إلى ألوانه المكونة له ، كما يعرف ذلك أهل الاختصاص من الدارسين . وكذلك اللغة ، هي مجموعة من النظم المجردة تجريدا عاليا ذات انتاجية غزيرة تمكن المتكلم من أن يصوغ جمله وعباراتــه صياغة صحيحة وفقــا لتقــاليد الكلام في البيئة المعينة ، فيتم الفهم والافهــام وتسير عملية الحياة .

هذه النظم اللغوية كانت – ومازالت – الشغل الشاغل للغويين ، وبخاصة في العصر الحديث ، حيث تبين للدارسين بوضوح أن اللغة قوام الحياة وعمادها الأول ، وحيث برزت لهم أهميتها في المجتمع ، بل ان الأمر لم يعد مقصورا على رجال اللغة وحدهم ، وانما شاركهم في الاهتمام بها أهل الاختصاص في حقول علمية أخرى ذات صلة مباشرة بالإنسان وحاجاته في الحياة . اهتم بها علماء الاجتماع ، والانثروبولوجيا ، وعلماء النفس ، والتربية ، والمشتغلون بوسائل الاتصال ، ورجال الاعلام والدعاية ، والتثقيف الخاص والعام ، والمهتمون بتعليم اللغات الأجنبية كذلك .

ان دراسة هؤلاء لهذه الملكة الانسانية الفريدة (اللغة) ليس ترفا علميا أو تزجية للوقت وملء الفراغ ، وانما هي تنبع من احساسهم

بحاجة الناس إليها وإلى التعرف على أسرارها ليفيدوا منها ولتأخذ بيدهم نحو التقدم إلى عالم أفضل .

وأهمية هذه الدراسة العلمية المتأنية يعرف قدرها ويباركها كل طوائف البشرية ، وبخاصة أولئك الذين اتخذوا الكلمة حرفة لهم وصنعة ، كالمعلمين والمحاضرين ورجال الدعوة والفكر والمذيعين ورجال الفن المسرحي من ممثلين ومؤلفين ومخرجين . ولا نبالغ إذا قلنا ان البحث في اللغة والكشف عن أسرارها بأسلوب علمي يفيد منه كل فرد يود أن يحقق انسانيته على الوجه الذي أراده الله له ، لأنها تمكنه من أن يكون عضوا ناجحا في مجتمعه ، متفاعلا مع ذويه وصحبه ، مشاركا لهم في البناء والتعمير .

وإذا كان النظر في اللغة وبحثها بحثا علميا أمرا ضروريا بالنسبة لأولئك النفر من الناس الذين ارتبطت بها وظائفهم أو مهنهم الرسمية أو احترفوا صناعة الكلمة فان هناك ما يسوغ ، بل يوجب ، هذا النهج العلمي كذلك بالنسبة للمجتمع على اطلاقه ، وبالنسبة لعامة الناس على اختلاف صنائعهم وحرفهم ، وبقطع النظر عن انتمائهم الثقافي أو الاجتماعي .

ذلك أن البحث في اللغة هو بحث في الانسان نفسه . والبحث في الانسان أو في خاصته الأساسية ، وهي اللغة ، طريق علمي يضمن للانسانية تحقيق آمالها والكشف عن امكاناتها التي ترشحها لوراثة الأرض وتعميرها ، كما يمكن هذا البحث كل مجتمع — صغيرا كان أم كبيرا — من القيام بدوره في بيئته على وجه يكفل له النجاح واطراد التقدم . فاللغة هبة الله للانسان منحه اياها واختصه بها دون غيره من المخلوقات تكريما له وارشادا إلى دوره الذي قدر له في هذه الحياة ، وهو تكوين المجتمعات ذات المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة . وهذه المجتمعات لا يمكن تصور وجودها أو بقائها إلا بلغة ، أية لغة ، أي وسيلة للتفاهم تضمن للناس وحدتهم وترابطهم ، والوفاء بحاجاتهم ودفع عجلة الحياة أمامهم .

ولقد سبقت مجموعة من الآراء لبيان دور الكلمة في المجتمع الانساني . فمن قائل انها أداة تعبير وتوصيل وتأثير : فهي عندهم تعبر عن الأفكار وتوصلها إلى الآخرين ، كما أنها تؤثر في السامعين وفي مناحي سلوكهم واتجاهاتهم . وهذا في الحق هو رأي الفلاسفة واضرابهم من رجال الاختصاص في الفنون والعلوم على المستوى الأكاديمي المحصن أو بالمفهوم الضيق لوظيفة اللغة . وهذا الرأي أيضاً رأي غير دقيق ، لأن قصر وظيفة اللغة على هذا المفهوم ذي السمة العقلية الصرفة يعجز عن تفسير بعض الحقائق التي نلمسها ونشاهدها في كل البيئات . من ذلك مثلا أن الأطفال أو الصغار من الأناس في سنيهم الأولى يتعاملون مع اللغة بوصفها واقعا حيا متفاعلا مع ما يجري حولهم من أحداث وما يكتنف نشاطهم من ظواهر اجتماعية . انهم يمارسونها ويخبرونها استقبالا وارسالا دون أن يقصدوا إلى تعبير عن أفكار أو توصيل لها ، كما لا يرمون إلى التأثير فيمن حولهم . انهم بالأحرى يلعبون أو يتسلون بها ، وبمرور الزمن ترتبط ما يصدرون من أصوات اللغة بمعان أو مفاهيم اجتماعية تربطهم بمن حولهم ومن يعيشون معهم . ومن حسن الحظ أن الصغار في مراحلهم الأولى يعيشون وسط أناس يحلو لهم ارسال الكلام ارسالا ويكثرون من « الدردشة » حول أشياء ومواضيع كثيرة لا يربطها رابط ، ولا يعنيهم من هذا الاستخدام للغة نقل أفكار معينة أو التعبير عنها : ان هؤلاء هم الأمهات والمربيات ومن على شاكلتهن . وهذه المرحلة من الطفولة هي المرحلة الأساسية في تعلم اللغة .

وهناك تفسير ثان لوظيفة اللغة أشار إليه دارسون آخرون . يقرر هؤلاء أن الكلمة أداة عمل وانجاز فعلي ، انها تواكب الأفعال ، بل تسبق هذه الأفعال وتتلوها أحيانا . فالمهندس قبل أن يشيد المصنع أو المتجر يخطط ويناقش ولا يكف عن الكلام في أثناء التشييد والتنفيذ ، ويستمر على هذا المنوال من اتخاذ الكلمة والفعل معا وسيلة لانجاز بنائه حتى نهاية المطاف . ونحن في حياتنا العادية نتكلم فَتُنَفَّذُ أعمال ، ونتحدث لتصريف شئوننا وتدبير أمورنا .

يؤكد هذه السمة العملية للغة ما نلحظه من آثارها في كثير من الأحايين والظروف . فاللغة — كما يقولون — سلاح ذو حدين ، فقد تكون أداة خير وقد تكون أداة شر . فرب كلمة طيبة تفتح أبواب الرزق ، وتمسح دمعة محزون ، وتسعد قلب مكلوم ، وتأخذ بيد هؤلاء وأولئك إلى طريق النعمة والرخاء . ورب كلمة أخرى يرسلها انسان أهوج مغرور تسبب الخراب والدمار ، وقد تثير حروبا طاحنة أو صراعات مدمرة ، تأتي على الأخضر واليابس ، وتحيل الدنيا إلى تجربة ، قاسية ، بعيدة كل البعد عن طابعها الانساني الذي قدر لها أن تكون عليه .

وثم وجه ثالث للغة يظهر بوضوح في سلوكنا الاجتماعي العام في البيئات الصغيرة والكبيرة على سواء . كثيرا ما نتكلم في البيت وفي المصنع والسوق وفي الشارع ولا نقصد إلى نقل أفكار معينة أو تأثير في سلوك السامعين . يبدو ذلك مثلا في عبارات التحايا والوداع والمجاملة واضرابها من أنماط الكلام . إن هذه العبارات هي بالأحرى تمثيل لعادات اجتماعية ، يقصد بها إلى تقوية الروابط البشرية ، واشباع النزعة والاشتياق نحو الجماعية . تصور أنك على سفر بعيد دون رفيق ، أو بجوارك شخص صامت لا يتكلم ! انك حينئذ تشعر بضيق وملل فاذا من الله على صاحبك هذا وبدأ يتكلم انطلقت معه في تبادل أطراف الحديث من هنا وهناك ، دون أن يكون ثم رابط معين بين هذه الأطراف . وقد تنتهي الرحلة بتبادل تسجيل الأسماء والعناوين لمعاودة « الدردشة » — على بعد المزار — تأكيدا للخاصة الانسانية فينا وهي « الاجتماعية » التي لا تتحقق بحال دون هذه الهبة الالهية ، ونعني بها اللغة . وقديما قالوا « الانسان اجتماعي بطبعه » ، وهم يعنون بذلك أن « الانسان ناطق بطبعه » ، فهو المخلوق الفريد الوحيد الذي يحظى بهذه اللغة ذات النظم المعينة التي يمتاز بها عن غيره من المخلوقات □

الأدب وتأث

الحياة في مفهوم البعض أكذوبة ، والخير والشر طريدان مشردان في هذا الوجود كما في اعتقاد « شوبنهاور » الذي يرى أن النقص كامن في تركيب الدنيا ملتصق بطبيعتها ، ولا حيلة لنا في ذلك ، والكثير من الفلاسفة العظام أنكروا عليه ذلك لايمانهم العميق بأن هناك مقاييس معلومة تتحكم في تنظيم أمور الدنيا واظهار الخير فيها مهما كلف الأمر .

وبالنسبة لوجهة نظرنا كمسلمين لله مؤمنين بما أنزل من سنن حكيمة تقضي على نوازع الشر في النفوس وبالتالي تحرمه من النيل في الدنيا حين تجد تلك السنن من يفرضها على العالمين ويقود الناس بها ..

ان الحياة عندنا هي أرض جرداء نزرعها بكل أنواع اللذائذ ولسنا نشقى في هذه الزراعة ، ولكننا في سعادة دائمة منحنا اياها ذلك الانتظار ليوم المطر الغزير لكي تنبت الأشجار العالية ، وهي بمثابة أعمالنا الصالحة التي زرعناها في حياتنا لنجني ثمارها الطيبة في الآخرة ، ان الدنيا عندنا روح نسمو بها في آفاق بساتين المعرفة والحب أو ما يسمى بالعواطف الانسانية النبيلة .

والأدب بوصفه نوعا من أنواع الثقافة الوجدانية فضلا عن العلوم الانسانية التي يقدمها ، قد أدركه الناس منذ بداية عهد التفتح على أسرار الكون مما جلب إلى النفوس أشياء جديدة لم يكن ليحس بها الانسان من قبل ، وحين ازدحمت على أفكاره أسئلة محيرة تجاه كل شيء وشغل عقله بغير ذاته ، أراد أن يبوح للدنيا بما يدور في صدره ووجدانه ، فأراد شيئا جديدا يستوعب ما سيبوح به ، شيئا يكون أقدر على مسايرة النفس وأقدر على اثارتها ودفعها نحو التحدث ، نحو الكتابة ، فاهتدى ، إلى هذا الجميل الجديد الذي يفرغ فيه ما يشاء من عبارات وخلجات تبحث في الصدر عن باب أو نافذة تنبعث منها كريمة رقيقة ، تنفس عن صاحبها وتسعد الآخرين بها ، من هنا نشعر ، بل نرى الأدب على حقيقته وانه ليس سوى نوع من الجمال يزدهر بازدهار صدق الناس في استعماله ودون سوء قصد أو استعماله في غير ما أريد له . ولكن لنسأل سؤالا لنرى مدى الشعور بالجمال في احساسنا ، لماذا يحب بعض الناس الشعر أكثر من حبه لمقالة أو حديث في النثر ؟ وان صح التعبير ، فللاجابة عن مثل هذا السؤال ، علينا أن نبتعد قليلا عن موضوع السؤال أو نصه لنقول ان الأدب منذ القدم عندما أصبح فنا ثابتا بين الفنون ، تشكل إلى نوعين اختارهما الانسان القديم ليطلق عليهما اسم الأدب ، فالشعر ذو الوزن والقافية والموسيقى ، والنثر بأنواعه العديدة غير ملتزم بقواعد خاصة في ذلك الشأن . وحين نعود إلى ظلال السؤال السابق ، نرى أن الشعر بأوزانه الخاصة وقوافيه المعينة ونغماته الرنانة ، هو أقدر على تحريك المشاعر بفيض وفير من الاحساسات والعواطف الجياشة ، فهو مثلا أعظم أثرا في اظهار الشجون وقت الأحزان ، وأعمق دفعا لمشاعر الأسى والبكاء في نفوس الرجال والنساء الذين يعانون آلاما كئيبة لا يستطيعون الافصاح عنها أو مشاركة غيرهم فيها ، فيجدون ما يخفف وطأة الجور والحزن على حياتهم وما يسلون به في وحدتهم النفسية ، بل ويصبرهم على أحوالهم كما في قول الشاعر :

مشيناها خطى كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بأرض
فليس يموت في أرض سواها

وكما يعاشر الشعر الانسان في آهاته وسكرات عذابه ، كذلك يشاركه أفراح قلبه ويضفي عليه أنوار السعادة ، ويفتح أمامه الباب الكبير ليشعر الآخرين بالسرور الذي يكتنفه حين ذاك ، وما أجمل الانسان السعيد حين يسمع قول الشاعر :

ذهب الشتاء بأسود الأتراح
وأتى الربيع الطلق بالأفراح
لبست له الدنيا أعز مفوّف
قد زين بالأزهار والأوضاح
والسهل أبدع آية من سندس
متوضّع مستملح فياح

وكما هو الشعر سلوة المحزون والسعيد ، كذلك هو نزهة الناس أجمعين ، لما يبعثه من ارتياح في النفس وهدوء في الفكر ، إذا أعجب القارئ ، أو السامع بأبياته الرقيقة ، المعبرة عن معان سامية تظهر في ألفاظ بليغة قوية التأثير ..

وليس كل شعر شعرا ، ولا كل من نسق كلماته في شطرين متوازيين يسمى شاعرا ، ولكن هذا النوع من الأدب انما هو أسمى من ذلك المفهوم الشائع ، وهو أعلى من أن يتقيد بقاعدة علمية جامدة ، تخرجه عن أن يكون وجدانيا خالصا يخاطب الاحساس والمهج ، ولا يعمل حسابا لشخص أو حقيقة ان كانت تخل من تأثير الشعر على الشعور ، أو كانت

...ـيرة في الحيـاة

بقلم : الطاهر عبد السلام حافظ / المدينة المنورة

تقلل من انطلاقة العقل في فضاء الخيال الرائع .
وقال حسان بن ثابت ، رضي الله عنه :

وإنما الشعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته صدقا
وإنما الشعر لب المرء يعرضه
على المجالس ان كيسا وان حمقا

أما النثر ، فحظه في الانتشار بين الناس كبير ، رغم ما يزخر به الشعر من جمال وفن ، ويعود ذلك إلى ارتباط النثر بالعلوم والموضوعات أكثر من ارتباطه بالوجدان العاطفي ، وحيث أن الناس عادة مرتبطون بأنفسهم كمجتمع له علومه وآدابه وتراثه المحفوظ في الكتب والآثار الباقية ، فهم يجدون في النثر موضعا لرواج بضاعتهم وطريقا أسهل لحفظ ثروة مجتمعاتهم ، وتبادل المفاهيم بينهم سواء عن طريق الخطب في المحاضرات أو الرسائل والمقامات وغيرها من فنون النثر الغنية .

وصناعة النثر من جهة تأثيرها في الحياة صعبة جدا ، وطريقها الناجح شاق للغاية ، وربما عرضت صاحبها لأشياء لم يكن ينتظرها من قبل ، حتى قال بعضهم : لايزال المرء مستورا وفي مندوحة ما لم يصنع شعرا أو يؤلف كتابا ، لأن شعره ترجمان علمه ، وتأليفه عنوان عقله ..

هناك نوع من الوحدة في الحياة وراء مظاهرها المتعددة ، وأشكالها المختلفة لأن هذه المظاهر قائمة على أساس مشترك وهو النشاط الحيوي ، أو الحيوية الموزعة بين الأحياء ، ويتكون منها جوهر وجودهم ، وقد سماها : شوبنهاور : إرادة الحياة ، والبعض قال هي ، اللاوعي ، وهذه القوة الحيوية هي التي تمكننا من أن نشارك الأحياء شعورهم سواء في المسرة او الألم . ومن هذه المشاركة وهذا التعاطف تتكون التجارب والأحداث الشعورية ، ومن شأن هذه المشاعر المستوعبة والأحاسيس المتجمعة أن تزود العقل الباطن بطرائف الاحساسات وغرائب المدركات ، ويصبح العقل الباطن خازنا لتلك التجارب الناتجة عن مختلف الحواس وشتى المشاعر ، وفي كل لحظة تزداد هذه التجارب لتكون ثروة يعتد بها الأديب في أدبه .

ولا يستطيع كل عقل واع أن يستفيد من هذه الثروة المكتسبة ، وما نسميه نحن بالقوة المبدعة الخالقة في الأدب والفن هو قدرة خارقة غير مألوفة على الغوص في أعماق العقل الباطن مع توفر الاستعداد وتهيؤ القدرة على اخراج النفيس من هذه التجارب في تنسيق وملاءمة بينها .. والعبقرية الفنية هي استعداد أكثر من المعتاد على تكوين صور فنية أو قصائد من الشعر أو روايات بديعة من تلك الثروة ..

فحين يستعمل الأديب الخلق الفني انما يكون هناك أصل في العقل الباطني يرجع عليه ، مثل خلق شخصية فنية أو ترجمتها ، وقد تحدث الكاتب الروسي الروائي ، ترجنيف : عن طريقة خلقه لشخصية بازاروف ، بطل رواية «آباء وأبناء» ، فذكر انـه التقى في أحد أسفاره في القطـار بطبيب ناشئ لمح فيه نوعا جديدا من الناس وتمت الرحلة ولم يره بعدها .. ولكنه ترك في نفسه أثرا قويا فظل يتصور أسلوب حياة الطبيب الشاب ونهج تفكيره ، وأخذ يكتب ذلك في يومياته لمدة أشهر ، حتى صار يعتقد أنه قد أدرك مشاعر هذا الشاب وسلوكه في مختلف المواقف ، وأصبحت شخصيته لديه واضحة المعالم ، ثم بدأ يكتب في ذلك روايته المشهورة وأدرك الروائي ترجنيف من خلال كلام الشاب أنه فوضوي المذهب ، فعمد إلى خلق الجو المناسب لاظهار شخصيته وآرائه واتجاهاته في الحياة . ومن سمات الخلق الفني المستمد من العقل الباطن أن يتميز بالحيوية القوية والطلاقة والحرية ، وهذا ما انتقصه النقاد في بعض روايات ترجنيف التي كان يغلب عليها آراء عقله الواعي ومؤثراته الأدبية .

وبعد تلك الصورة الحية في عوامل تأثير الأدب في الحياة وأسباب ذلك ، نعود لنسأل أنفسنا من جديد : ما هو الأدب بالنسبة للحياة ؟

يقول الكثير من النقاد أن الأدب هو صورة العصر ومرآة الحياة .. وهم بذلك يشبهونه بالقمر الذي يعكس أشعة الشمس علينا لنراه مضيئا ساطعا وهو لا حياة فيه . ولكنه في الحقيقة أعظم شأنا من ذلك وأبعد أثرا ، فهو بحساسيته الشفافة ، وحرصه على استيعاب كل شيء والاحاطة بالحياة من جميع نواحيها يحاول أن يتابع الحياة في ابداعها المستمر ، ويسجل تغيراتها ، ويرسم ظلالها المنوعة ، وألوانها العديدة .. وعلى حد رأي أحد الكتاب أنه بهذا الصراع العنيف يضطر الحياة إلى أن تكشف أسرارها وتجلو عن حقائقها ، ومن ثم تختلف صور الآداب تبعا لاختلاف صور الحياة وطبائع العصور وهنا يحق لنا أن نطرح سؤالا هاما جدا ، ألا وهو : ما هي صلة الأدب بجوانب الحياة الانسانية وشئون مجتمعاتها العامة والخاصة ؟

إننا نعرف أن الأدب يقوم أولا على المزاج الفردي ، وهذا ما يجعل بعض المفكرين ينكرون علاقته بالمجتمع وتأثره بالدولة .

الأدب وتأثيره في الحياة ...

ويستهدف الأدب في العصر الحاضر لمؤثرات كثيرة أهمها السياسة والاختراعات العلمية الحديثة وعلوم النفس .

وقد نتساءل : ما شأن الكاتب بقيام الدولة وسقوطها وتماسك الأمم وانحلالها ؟ ولكن علاقة الأدب والسياسة شيء قديم ، ظهر في الأدب اليوناني والروماني والأدب الإسلامي كذلك ، وقد زادت السياسة من ثروته ، ورفعت من مكانة رجاله ، ومازال الكاتب منذ نشأة الأدب وهو لسان قومه ، وسلاح جماعته ، وقلبهم النابض ، فعندما تزدهر الشعوب أو تقوى حضاراتها ، يبقى الأديب سائرا في خطى الحث على الاستمرار ، وكلما كان المجتمع شريكا في الفن والفضيلة ، تقدم العلم وترقى الفن الانساني وسما المجتمع .

وحين تزحف أطراف الفساد عليه ، وينهار ما كان للمجتمع من اعتزازات وفخر ، يظهر في حديث الأدب ، أو الأدباء ، الألم والقلق والتبرم والحزن الموجع وليس من المستنكر أن يجبر الكاتب على أن يفكر تفكيرا سياسيا في مثل هذه العصور المضطربة ، وخاصة في العصر الحاضر ، ويطيل التأمل في العلاقات الاجتماعية والأحوال العالمية .. وقد كان من المعروف أن الأديب فنان قبل كل شيء وهمه الجمال وحفز المشاعر والمتعه الفنية ، واننا نحتاج منه ان يسمو بنـــا عن تلك الأحداث والوقائع وتقلبات الدنيا وحسراتها ، ويجعلنا ننسى حماقات هذا العالم وسخرياته اللاذعة ..

واستخدام الأدب في الأغراض السياسية البحتة التي لا تتصل بالمشاعر الاجتماعية أو العواطف الانسانية ، فذلك يفسد الأدب ويهبط به عن مستواه الرفيع . وفي النهاية يتبين لنا أن الأدب شعرا ونثرا بوصفهما نوعاً من الفن الجميل الرائع ، انه لا يحسن ولا يأخذ قيمته الجمالية إلا حين يستعمل في جوانب الحياة الانسانية المتعلقة بالانسان كمخلوق له قلب وعقل ، لا كشيء وجودي يجب أن يعيش فقط .

ولنعد قليلا إلى الناحية الشعرية ، فنرى أن من الأفكار السائدة أن الشعراء هم المعبرون عن روح العصر ، في أي عصر ، وهم المحدثون عن أسرارها ومضمونها ، إلا أن هذا الرأي فيه شيء من الظلم سواء للعصر وللشاعر ، فلو اعتبرنا أن ذلك الرأي صحيح تماما ، فلربما ننسب صفة إلى عصر ما يتميز بها شاعر معين عاش فيه ، وتكون هذه الصفة غير موجودة أبدا في ذلك العصر ، وكذلك العكس صحيح ، ولكننا مع هذا يجب ألا ننكر الرابطة القوية بينهما ، وما يتأثر به الشاعر من عصره تأثرا كبيرا يقارب الصورة الشخصية فيما بينهما .

والشاعر الفنان في نظر الروائي والشاعر الناقد الهندي « طاغور » هو الذي يطلق في نفوسنا روح الشاعر الفنان ، وهو لا يستطيع ذلك إلا إذا كان شعره وليد نسيان النفس ، والشاعر الحق يحلق فوق المطامع والشهوات ، ويرتفع إلى المستوى الروحي ، والمتشائم لا يكون شاعرا من الطراز الأول ، وشعر التشاؤم قائم على التناقض ، لأن الذي لا يرى في الحياة شيئا قيما محال أن يكون شاعرا .

والشاعر الباحث عن الجمال لابد أن يحب الأرض ويرضى عن الحياة .. وليس معنى ذلك أن يرى الدنيا جنة دانية قطوفها ، خالية مما يسوء ، فان عليه أن يواجه الحياة بكل ما فيها من فواجع وآلام ونقص ، ولكن ليشعر في النهاية بأن الخير والسلام هما النهاية ، لا يأس ولا بؤس . والشعر مرآة لحقيقة الحياة ، لا للحياة كما تتراءى لنا ، أي هو تصوير لما يجب أن يتصور في الحياة ، لا للحياة الواقعة الموجودة بين مجتمعاتنا وأفرادنا ، والشعر في رأي « طاغور » هو « حرم الجمال » .

ثم نعود للأدب عامة ، فنرى أن الناقد الفرنسي « تين » يرى أن الأدب عنوان نفسية الشعوب ، ومفتاح قلوبها ، وأن الشاعر نتيجة لعوامل ثلاثة هي : البيئة والعصر والسلالة ، وفي هذا الرأي كثير من المغالاة ، فليس الأدب عنوان نفسية الشعوب ، وهو لا يعبر إلا عن نفسية الأدباء المتفردة ، وانما تتجلى نفسية الشعوب كاملة في دراسة اللغات وفي استقراء الأفكار والمعتقدات ، بما فيها من الخرافات إن وجدت ، والتي تعتقدها الشعوب .

ولكن « تين » نسي أن يذكر العامل الشخصي في عوامل الخلق الثلاثة ، وهذا العامل يجعل شخصا بعينه يعبر عن حالة نفسية معينة بذاتها ، وهو شديد الأثر في شخصية الأديب كشاعر ، ولولا هذا التأثير الكبير من هذا العامل لما وجد في عصر واحد شاعران متناقضان ، كابن الرومي والبحتري .

وخلاصة القول ان الأديب لا يكون معبرا تاما عن روح العصر أو الحياة إلا في الأوساط الضيقة الفكر ، التي تضعف فيها الحياة الأدبية ، أما في الأوساط الواسعة التمدن ، البعيدة الأفق حيث تتنوع الميول والنزعات ، فلابد أن يتبع الأديب طائفة خاصة ينشر آمالها ويبوح بأحزانها ومسراتها ، وإن كان هذا أو ذاك فكلها تعبر عن الحياة ، سواء مفصلة أو عامة أو شاملة ، وبامكاننا أن نقول ان الحياة دون الأدب كالانسان الذي لا ينطق لخرس أصابه □

رمضان يا نبع الأماني

شعر: عبدالحفيظ محمد عبدالحميد / القاهرة

رمضان يا نبع الأماني في نفوس الأتقياء
يا أجمل الأحلام تشرق في قلوب الأوفياء
تسري وما تسري بغير الحب يزرعه الأخاء
تسري إلينا كل عام بالسعادة والصفاء
ما أجمل الدنيا وأنت هلالها وسط السماء
تسري بها وتسير تتبعك الطهارة والنقاء
رمضان أنت ربيعها تاتي إليها بالسخاء
فاذا رحلت أتى إليها قارسا فصل الشتاء

...

قيثارة بك قد تغنت .. تملأ الدنيا حداء
قيثارة بك قد تغنت .. فالحياة بها غناء
فاذا مضيت فيومها ألم وليلتها شقاء
وحديثها صمت ونظرتها أنين أو بكاء
قيثارة بك راح يشدو حولها نغم الهناء
وقصيدة عصماء تهديها إلى الدنيا السماء
أبياتها حمد وتسبيح وشكر ووفاء
صوم واخلاص وايمان يتوجه الولاء
ورسالة فيها السعادة والعبادة والدعاء
للمؤمنين بها الطهارة والمحبة والصفاء

...

وتضوّئ الدنيا بمشكاة تضيء كما تشاء
فاذا الضياء بها سلام والسلام بها ضياء
يتلى كتاب الله حولك في الصباح وفي المساء
فالله خصك بالكتاب فزاد قدرك بالعطاء
فتنزل القرآن فيك برحمة فيها الشفاء
من كل رجس حلّ في الدنيا فألبسها الشقاء
فتبدلت فيها الحياة سعادة ونما الرجاء

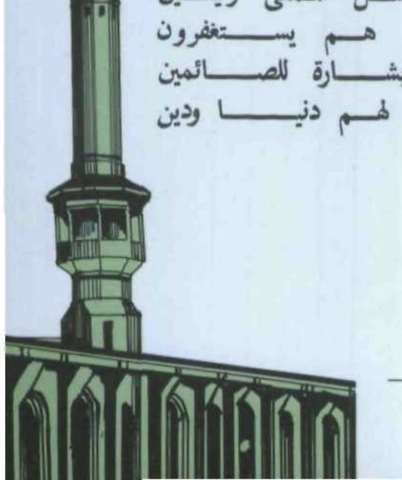
رمضان صومك رحمة فيه السعادة للعباد
رمضان يا أحلى جهاد يستريح به الفؤاد
وتعود فيه النفس صافية لتسعد بالمراد
تصفو بك الآمال تبعثها! لنا في كل واد
وتنير في الدنيا طريق الحقّ يلهمنا الرشاد
وتعلم الانسان صبر الصالحين على الجهاد
وتصون صحته فيأمن كل داء في البلاد
فيعيش في صفو فلا كدر يذوق ولا سهاد
فحياته قبس من الايمان يسطع في ازدياد
يسعى به قدما إلى التوفيق يتبعه السداد

...

اشرق على الدنيا ففي اشراقك النور المبين
وامسح جبين الكون بالايمان يشرق واليقين
وأفض جمالك يملأ الدنيا هدى طول السنين
وابعث ضياءك للقلوب فلا تضلّ ولا تهون
رمضان يا رمز المكارم والمنى في كل حين
تأتي فينمو الخير في الدنيا ويسطع في الجبين
فاذا أتيت فأنت أصدق شاهد للمؤمنين
وإذا رحلت فأنت خير مسجل للصائمين

...

بشرى لمن صاموا وقاموا ليله مستبشرين
مستبشرين بنعمة ساروا إليها مخلصين
الحب يجمعهم ويسعد في نفوس الصابرين
والنور يسعى بين أيديهم وهم متفائلون
يسري بهم ايمانهم بالله رب العالمين
يجدون فيه حلاوة العسل المصفى واليقين
الليل يشهدهم وبالاسحار هم يستغفرون
رمضان نورك رحمة وبشارة للصائمين
الصائمون عن الخنا بشرى لهم دنيا ودين

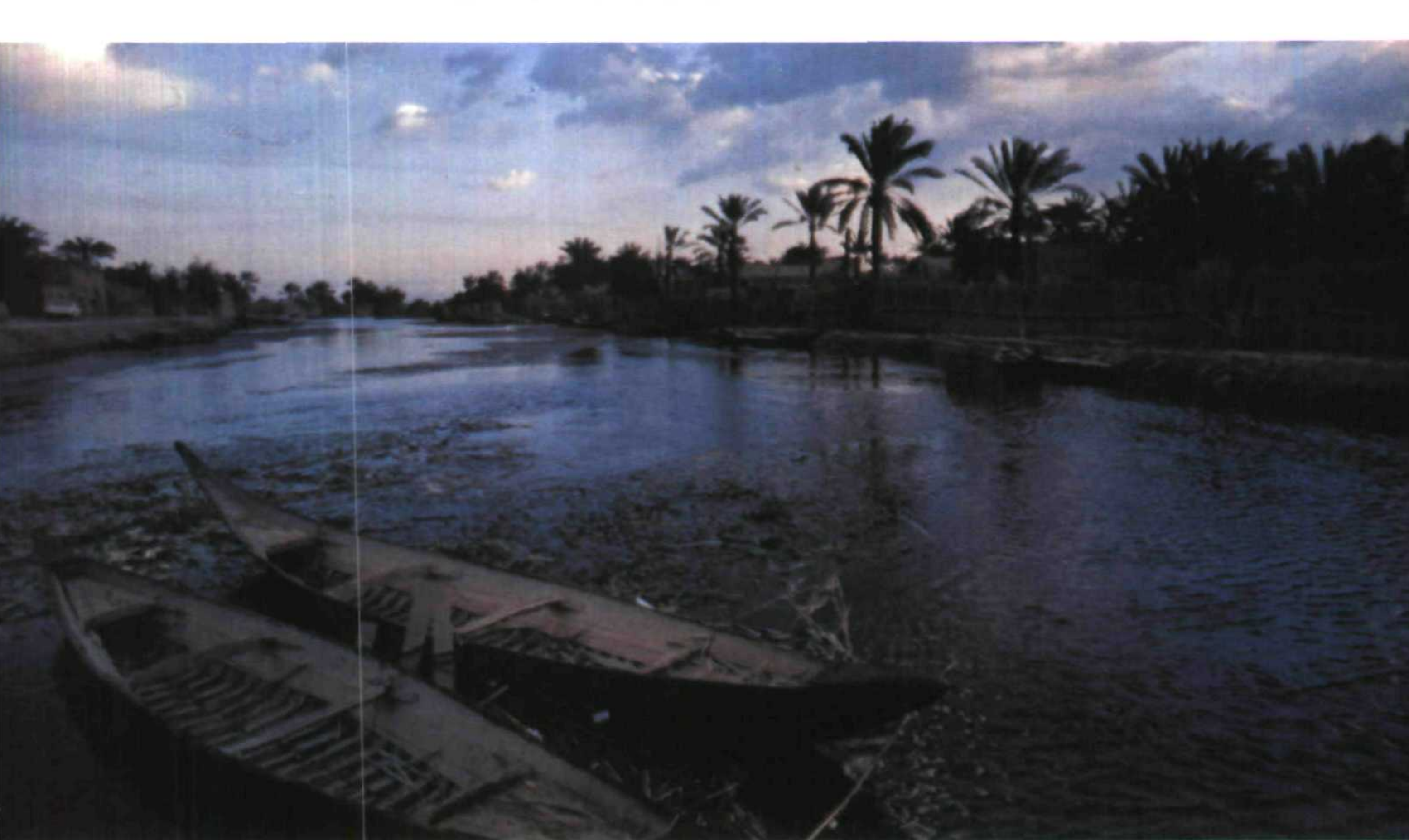


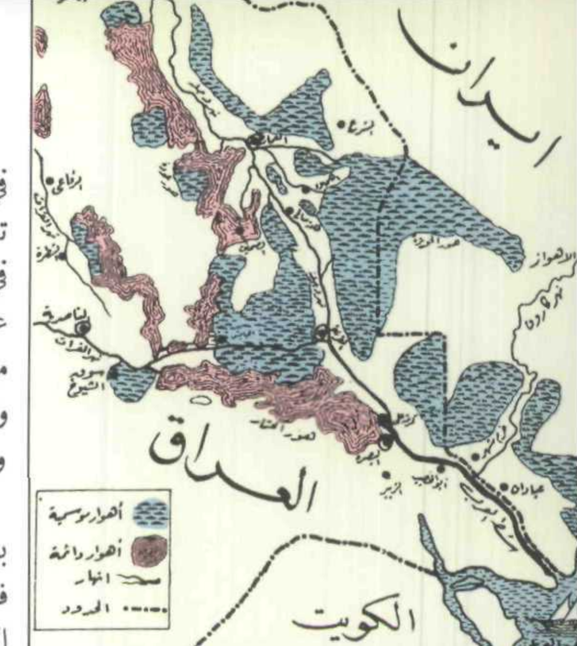
الأهوار...

أرض البحيرات والمستنقعات

بقلم: سليمان نصرالله / هيئة التحرير

منطقة بكر في جنوب العراق، تنعم بجمال الطبيعة، لم تعبث بها يد الحدثان. تغمرها، على اتساعها، مياه دجلة والفرات أوقات الفيضانات، فتحيلها إلى بركة ماء شاسعة مترامية الأطراف، تأوي اليها الطيور المائية والبرية النادرة من كل شكل ولون، وتكثر فيها الأسماك ويعيش فيها الجاموس الأسود، وتسرح فيها قطعان الخنازير الوحشية، وتتخللها غابات كثيفة من القصب والبردى، تلك هي منطقة الأهوار في العراق، التي يتوفر فيها مقومات المنتجعات السياحية، والتي تحمل في طياتها بشائر الخير والازدهار.





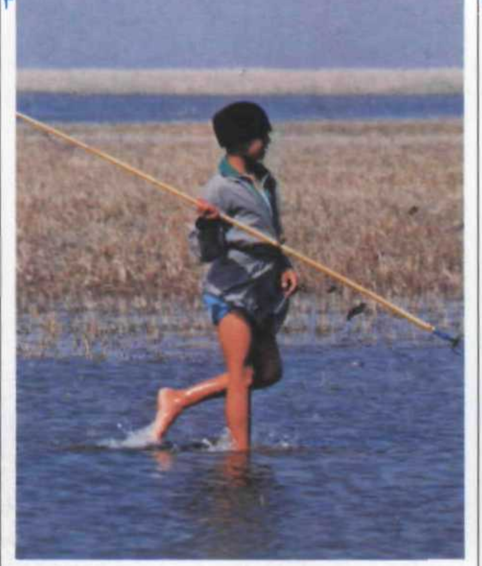
منطقة

الأهوار الواقعة في الجزء الأوسط من المنطقة الجنوبية في العراق ، منطقة منخفضة مستوية تغمرها مياه الفيضانات إلى ارتفاع متر في المتوسط ، وتقدر مساحتها بنحو عشرين ألف كيلومتر مربع ، وهي مساحة تخضع للتغير تبعا لارتفاع وانخفاض منسوب المياه في دجلة والفرات وروافدهما .

والأهوار لغة جمع هور ، وهو بحيرة تغيض فيها مياه غياض وآجام فتتسع ويكثر ماؤها . وقد عرف العرب الأوائل هذه المنطقة باسم « البطائح » ، ومفردها بطيحة ، وهو ماء مستنقع لا يرى طرفاه من سعته ، على حد قول ابن منظور في معجمه « لسان العرب » ، وتمتد هذه البطائح ما بين واسط والبصرة . فأهل الأهوار ، الموسمية منها والدائمة ، يعيشون وسط مسطح مائي هائل على شكل مثلث تقريبا تقع على رؤوسه مدن العمارة ، والناصرية ، والبصرة .

لقد كانت هذه المنطقة الشاسعة حتى فترة وجيزة منطقة مجهولة المعالم ، موحشة الأرجاء ، تغمرها فيضانات منذ عهود سحيقة ، حتى ليمكن معها أن نطلق عليها أرض البحيرات والمستنقعات .

٣

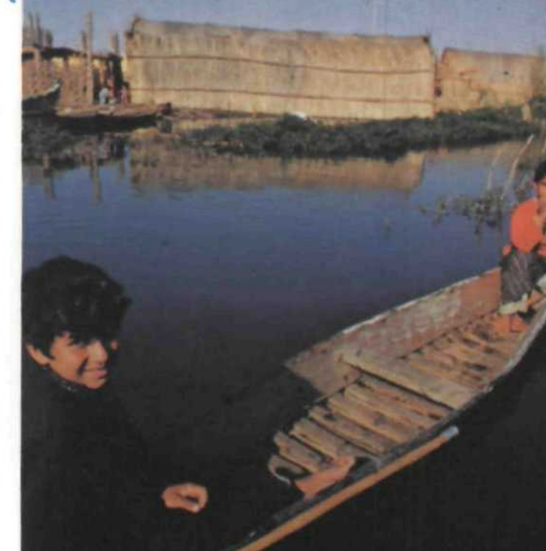


٢



في هذه المنطقة وعلى أطرافها قامت أقدم الحضارات ، فقد تعاقبت عليها عدة دول في أزمان مختلفة ، كانت حصيلتها ذلك التاريخ الحضاري العريق . وتنتمي هذه الدول التي تعاقبت على هذه الرقعة من أرض الرافدين إلى الأجناس الآرية والسامية ، ومنهم السومريون ، والأكاديون ، والبابليون ، والآشوريون ، والكلدان ، والفرس . والمعروف أن بلاد ما بين النهرين كانت من أفضل المناطق التي عرفها العالم القديم ، فكان للخصوبة غير العادية لتربتها الغنية بالطمي ، ومشاريع الري الضخمة ، أثرها الكبير في تمكين أهل هذه المنطقة من أن

٤

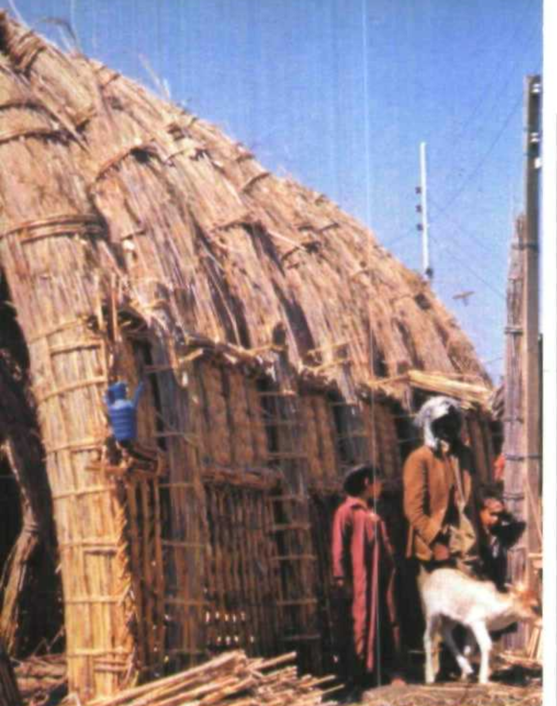


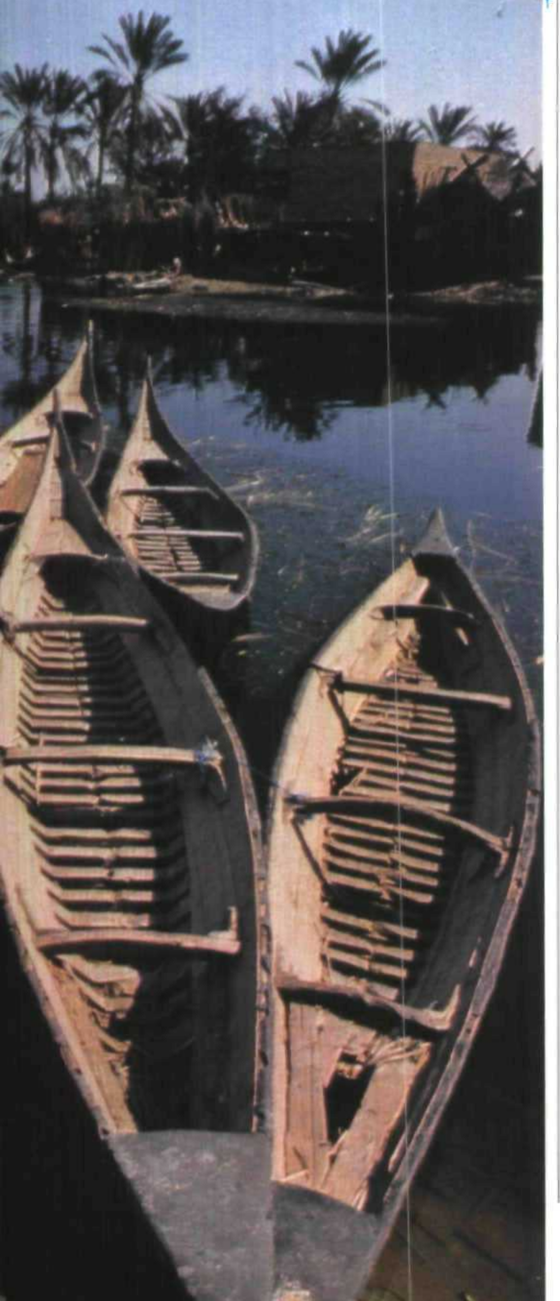
١ – يخيم صمت رهيب على منطقة الأهوار في هدأة الليل حيث لا يسمع سوى نقيق الضفادع .

٢ – ينعم الجاموس الأسود بالماء والخضراء في منطقة الأهوار .

٣ – يتدرب أبناء منطقة الأهوار في سن مبكرة على استخدام الفالة في صيد الأسماك .

٤ – حتى الفتية الصغار في الأهوار يقودون المشاحيف بمهارة فائقة .

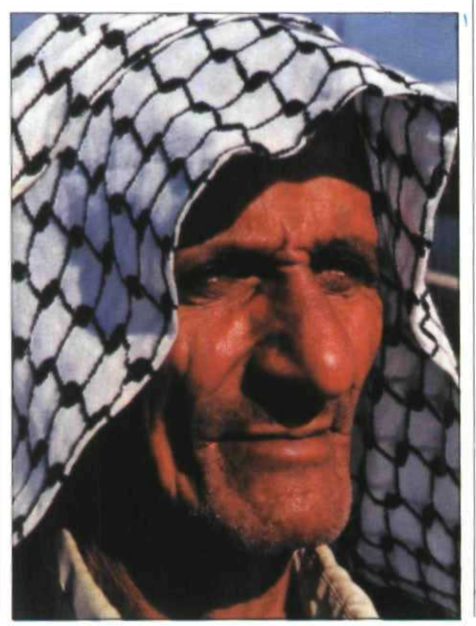


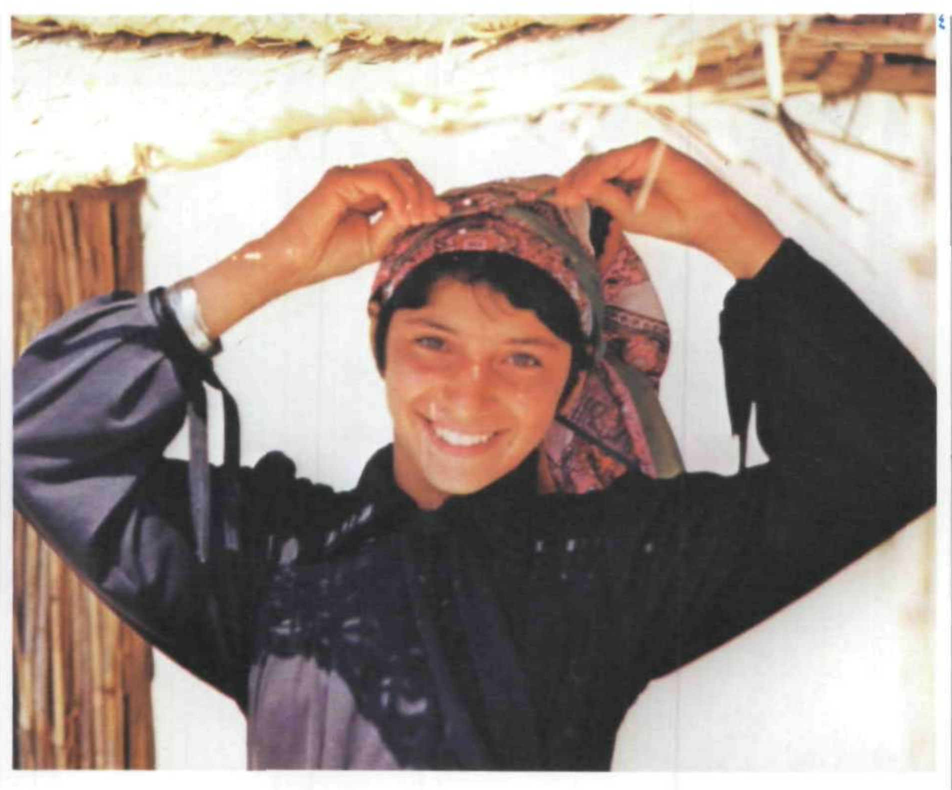


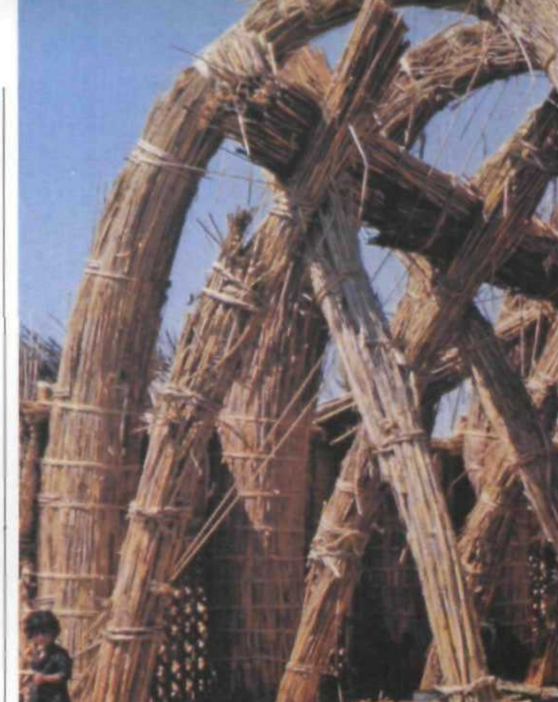
يعيشوا حياة مستقرة هانئة . وفي هذا الجو الآمن الرغيد ارتقت فنون الكتابة ، وسنّت القوانين ، وتقدم فن البناء ، وارتقت شؤون الزراعة والصناعة ، وبذلك أصبحت بلاد ما بين النهرين مهدا لمدنية لا تضارع .

ومن ناحية أخرى ، فان خصوبة أرضها ووفرة مياهها كانت من العوامل التي أغرت بغزوها ، ليس فقط من قبل الأقوام السامية الوافدة من الجزيرة العربية فحسب ، بل من المناطق الأخرى البعيدة ، كالحثيين والمصريين ، وأخيرا الفرس الذين أدمجوها في امبراطوريتهم عام ٩٣٥ ق . م . وبقيت بلاد ما بين النهرين على تلك الحال ، حتى انضوت تحت لواء الدولة الإسلامية ، إثر فتح المسلمين لها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فقامت فيها حضارة اسلامية متألقة ، طغت على كل ما سبقها من حضارات ومدنيات .

لقد أطلق كثير من المؤرخين والباحثين الأجانب على سكان هذه المنطقة اسم « عرب الأهوار — The Marsh Arabs » من بينهم الباحث الانثروبولوجي « هنري فيلد — Henry Field » والباحثة « ونيفريد سميتون — Winifred Smeaton » اللذان قاما في عام ١٩٣٤ بزيارة هذه المنطقة ، بقصد اجراء دراسة انثروبولوجية تتناول صفاتهم ، وأصولهم ، وأعراقهم ، وعاداتهم ، إلى جانب دراسة « انثروبومترية — Anthropometric » تتضمن أخذ قياسات للجسم البشري ، لتقرير السمات العرقية لسكان الأهوار . فهناك مؤرخون يزعمون أن عرب الأهوار ينتمون إلى السومريين الذين عاشوا في هذه المنطقة قبل خمسة آلاف سنة . بيد أن سكان الأهوار أنفسهم يصرون على انتسابهم إلى قبائل عربية قديمة ، نزحت من الجزيرة العربية مع الفتوحات الإسلامية ، وهو أمر تؤكده أسماء القبائل والعشائر في أرجاء الأهوار ، والعادات والتقاليد العربية ، فهم عرب قلبا وقالبا . وفي عام ١٩٥١ قام « ولفريد ثيسيجر — Wilfred Thesiger » بزيارة طويلة إلى هذه المنطقة المعزولة ، دامت نحو ست سنوات ، عاش خلالها بين ظهرانيهم بصورة متقطعة ، ووجد منهم كل ترحاب وعون . فوقف على عاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم ، وسجل كل ذلك في كتاب قيم أسماه « The Marsh Arabs » ، ويعتبر مرجعا عن عرب الأهوار من الناحية الاجتماعية . هذا وقد اجتذبت هذه المنطقة العديد من المؤرخين ، وعلماء الآثار ، والجيولوجيين ، للكشف عن كنوزها التاريخية ، وخاصة ما يتعلق منها بقصة الطوفان . فقد عثر في نينوى على ألواح أثرية من الطين منقوشة بالكتابة الإسفينية ، وهي الآن محفوظة في المتحف البريطاني بلندن . وأحد هذه الألواح يسرد جزءا من « ملحمة جلجامش — Epic of Gilgamesh » السومرية ، التي فك رموزها « جورج سميث » عام ١٨٧٢ وهذه الملحمة تروي قصة فيضان هائل حدث في الجزء الجنوبي من العراق . والقصة بتفاصيلها شبيهة بقصة نوح ،









١ – وجه من الأهوار .

٢ – تحزم أعواد القصب ويتم تشكيلهـا على هيئة أقواس لبناء المساكن في الأهوار .

٣ – تهدأ حركة المشاحيف عنـد الظهيرة حيث يخلد أصحابها إلى الراحة .

٤ – فتاة صغيرة تعكس ابتسامتها المستقبل المشرق لمنطقة الأهوار .

عليه السلام ، والطوفان الذي وصف في التوراة ، الأمر الذي دفع ببعض المؤرخين وعلماء اللغات القديمة أمثال « جورج سميث » و « رولنسن » و « أدوين نوريس » إلى التعمق في دراسة تلك الألواح ، وما تم اكتشافه من آثار في هذه المنطقة ، لتقرير فيما إذا كانت قصة التوراة ، التي كتبت منذ نحو ١٢٠٠ عام قبل الميلاد ، مستقاة من قصة جلجامش السومرية . وفي مدينة « القرنة » وهي المدينة التي اشتق اسمها من اقتران دجلة والفرات قديما ، تمتزج الحقيقة بالأسطورة ، فأهلها يحدثون الزائر عن شجرة سيدنا آدم ، عليه السلام ، التي يزعم البعض أنها بقية من جنة عدن ، وعلم ذلك عند الله سبحانه وتعالى . ومهما يكن من أمر ، فان هذه المنطقة تضم بين جنباتها كنوزا أثرية ذات قيمة تاريخية كبيرة . وهي تلقى اليوم من المؤرخين وعلماء الآثار العرب اهتماما جادا ، في سبيل المحافظة على ما يعثر عليه من آثار من ناحية ، وحرصا على ربط الحلقات التاريخية للأقوام التي استقرت في أرض الرافدين في العهود القديمة من ناحية أخرى .

وسكان الأهوار ينحدرون من الأقوام السامية التي قطنت هذا الجزء من العراق ، ومن القبائل العربية التي استوطنت في أرجاء هذه المنطقة . ويطلق العرب القاطنون في الأهوار على أنفسهم اسم « المعدان » . وهم في رأي المؤرخين مجموعة من القبائل والعشائر العربية التي نزحت قديما من الجزيرة العربية ، واستقرت في جنوب العراق . وهم لعزلتهم حافظوا على تقاليدهم وعاداتهم العربية الأصيلة كاكرام الضيف ، وحماية الجار ، والمحافظة على الشرف ، وغير ذلك من الخصال الحميدة التي يلمسها الزائر بوضوح أينما حل في هذه المنطقة .

أما كيف نشأت الأهوار في جنوب العراق ، فانه يمكن القول بأن المياه المتدفقة من نهري دجلة والفرات أثناء الفيضانات ، هي السبب المباشر في تكون هذه الأهوار والمستنقعات في الأرض المنخفضة في الجنوب . فعندما تذوب الثلوج على الجبال في الشمال في فصل الربيع يرتفع منسوب المياه في النهرين ، ولاسيما نهر دجلة ، فتتدفق المياه عارمة في الروافد العديدة وتفيض في المنطقة المنخفضة في الجنوب ، مكوّنة عددا من الأهوار متصل بعضها ببعض . وأكبر هذه الأهوار هو هور الحمّار الذي تبلغ مساحته نحو ٥٢٠٠ كيلومتر مربع . ومن بين الأهوار الأخرى السنية ،



صناعة المشاحيف يتوارثها الخلف عن السلف .

الدجلية ، والحويزة ، وأبو قلام ، وزجرى ، والسناف ، وعفك ، وأبو دبس ، والشامية ، وغيرها . والجدير بالذكر أن دجلة والفرات يطرحان ما يحملانه من طمي في هذه المنطقة ، مما يجعل الأرض تحت مياه الأهوار الضحلة من أخصب مناطق العراق . لذلك تجود فيها جميع أنواع المحاصيل وخاصة الأرز ، والشعير المقاوم لملوحة التربة ، وأنواع الخضروات . ولهذا تعمل الحكومة العراقية على تصريف المياه والتحكم فيها باقامة السدود والقنوات . والمعروف أن دجلة والفرات كانا يلتقيان في مدينة القرنة ، بيد أنهما حاليا يلتقيان في كرمة علي التي تقع إلى الشمال من البصرة على بعد نحو ٢٥ كيلومترا . فيتوحد مجراهما فيما يسمى بشط العرب حيث تندفع مياههما بقوة هائلة نحو الخليج العربي .

كانت الأهوار حتى منتصف هذا القرن منطقة شبه معزولة ، يعيش أهلها نمطا فريدا من الحياة ، يعود في بعض مظاهره إلى نحو ٧٠٠٠ سنة ، مثال ذلك استعمال الفالة البابلية القديمة لصيد الأسماك بدلا من الشبكة التي يعتبرونها عيبا . أضف إلى ذلك بعض العادات التي أخذت تندثر تدريجيا مع انتشار التعليم في منطقة الأهوار ، منها اعتبار الزراعة مهنة حقيرة ، فكان من يزرع غير الأرز عرضة للازدراء ، فلا يستضيفونه ولا يقدمون له القهوة ، ولا يزوجونه بناتهم . لقد عاش سكان الأهوار في عزلتهم هذه حياة غريبة ، تختلف كثيرا في خصائصها عن حياة أهل المدن . لقد عاشوا في قرى متناثرة في هذا المسطح المائي الشاسع ، قرى بيوتها مبنية من أعواد القصب (البوص) ونبات البردي تسمى الصرائف ومفردها صريفة ، وهي قائمة على جزر من صنع انسان الأهوار ، حيث يتم ردم رقاع صغيرة من المياه الضحلة بالحجارة والاتربة التي تنقل من أماكن نائية على المشاحيف ، وهي قوارب انسيابية طويلة ، يصنعها أهل الأهوار ، وتعتبر وسيلة النقل الشائعة بين القرى التي تحيط بها المياه من كل جانب . وبناء الصرائف عمل مضن ، يشارك فيه أفراد الأسرة كلها ، حيث يبدأ العمل بتهيئة مكان ملائم تقام عليها الصريفة ، وذلك بردمه بجذوع الأشجار والقصب ، والطين والحجارة التي تنقل أحيانا من مناطق نائية على متن المشاحيف . ثم تجلب أعواد القصب التي يصل ارتفاعها أحيانا إلى عشرين قدما ، وتحزم على شكل أقواس أو أعمدة ، ثم تثبت في أرض الصريفة أو المضيف ، أي بيت الضيافة ، أو الديوانية . ثم تغطى الجدران والسقوف بالبواري أي الحصر ، التي يصنعها أهل الأهوار ، وخاصة النساء والأطفال ، من البوص ، وذلك بكبسه وحياكته . هذا ويعمل للصريفة أو المضيف بابان في العادة أحدهما أمامي وآخر خلفي ، كما تفتح في

١

٢







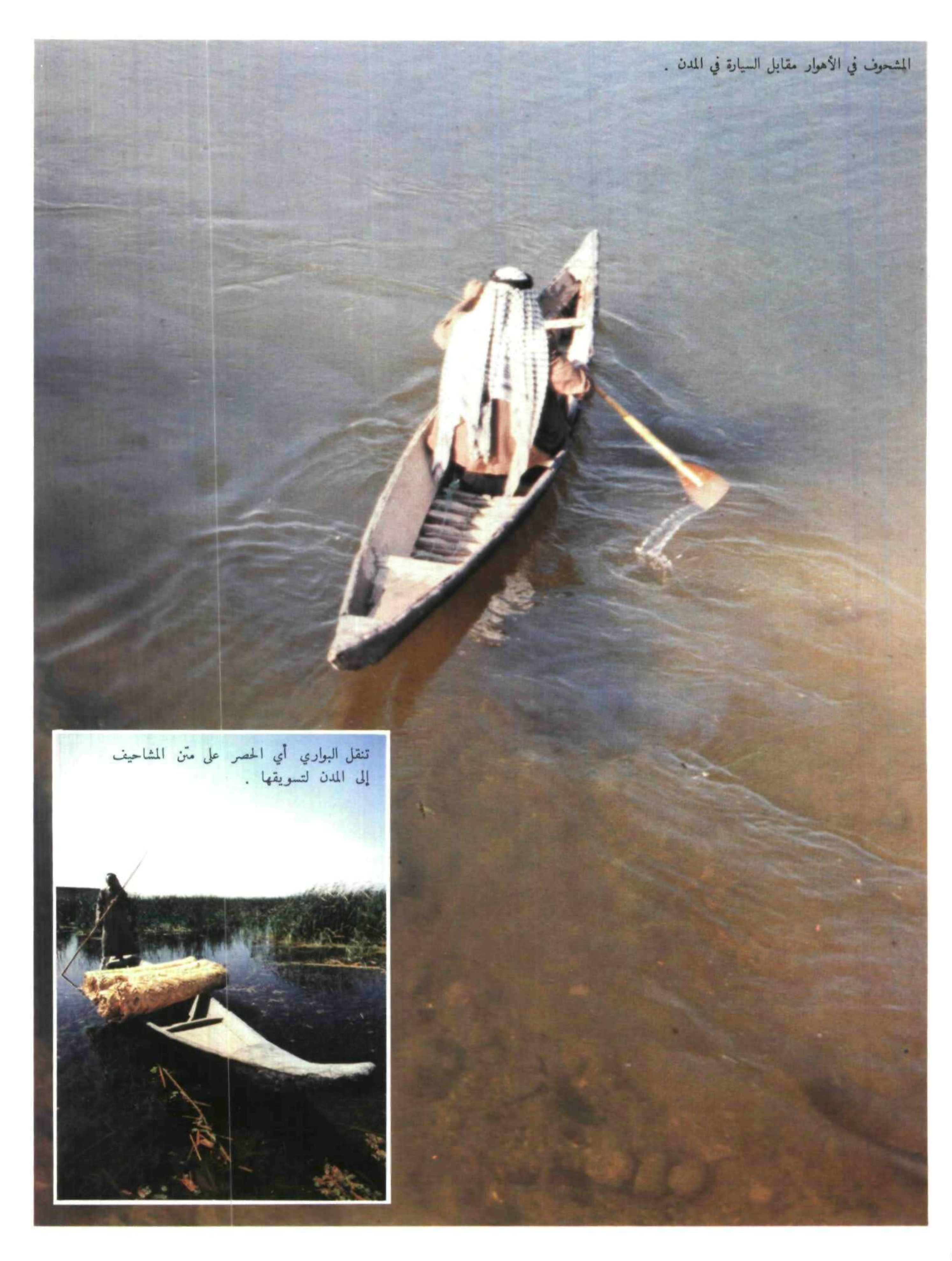
الجدران بعض الكوى التي يدخل منها النور إلى الصريفة أو المضيف . هذا ويتفنن البعض في أسلوب بناء تلك الأكواخ ولاسيما المضيف ، باعتباره المكان الذي يقصده الخطّار أي الضيوف ، وأهالي القرية في المناسبات العامة كالأعياد ، والأفراح ، والأحزان ، والمآدب ، وما إلى ذلك ، ولهذا كان المضيف ذا طابع جمالي خاص . ولكل شيخ عشيرة مضيف يتناسب مع مركزه الاجتماعي ، تفرش أرضه بالحصر ومن فوقها الزرابي والوسائد والأرائك ، التي يغلب عليها اللون البرتقالي . وفي وسطه موقد ومن حوله دلال القهوة وأباريق الشاي ، حيث يتحلق حوله رجال العشيرة يسمرون ويناقشون أمورهم ، ويتناقلون الأخبار على رشفات القهوة والشاي الثقيل .

١ – الروابط الأسرية قوية في الأهوار كهذه الحزم من القصب التي تستخدم في بناء الصرائف والمضائف .

٢ – أقواس من أعواد القصب تزدان بها الواجهة الأمامية للمضيف ، أي بيت الضيافة .

٣ – رغم بساطة بيوت القصب في الأهوار ، فانها تمتاز بطابع جمالي رائع ، تعكسه العقود والنوافذ والمشبكات البديعة .

ولما كانت الطرق التي تربط قرى الأهوار قليلة ، فان القوارب تلعب دورا رئيسيا في المواصلات ، باعتبارها وسيلة النقل السهلة بين أرجاء الأهوار ، وخاصة في موسم الفيضانات ، حيث ترتفع المياه وتصبح الطرق النهرية هي شبكة المواصلات بين قرى الأهوار . ولذلك اشتهر أهل الأهوار وخاصة أهل قرية الهوير بصنع القوارب من الأخشاب وجذوع الأشجار ، وهي قوارب طويلة



المشحوف في الأهوار مقابل السيارة في المدن .

تنقل البواري أي الحصر على متن المشاحيف إلى المدن لتسويقها .



أشجار النخيل الباسقة تلقي ظلالها على المياه الهادئة في الأهوار .

نحيفة ذات حركة انسيابية . وتختلف أسماء هذه القوارب تبعا لحجمها وسرعتها ، فمنها المشحوف ، والطرادة ، والبلم ، والبركش ، والطوف الذي يصنع من نبات البردي والأعشاب المائية الطويلة . انه لمنظر أخاذ ، أن تشاهد عددا كبيرا من هذه القوارب تتهادى على صفحة الماء آناء الليل وأطراف النهار ، في رحلات صيد الأسماك والطيور ونقل السلع ومنتجات الأهـوار من ألبان وخضروات وحصر وغير ذلك . وتشاهد هذه القوارب وهي تقف أمام الصرائف كما تقف السيارات أمام المنازل في المدن . ويمتاز أهل الأهوار بمهارة فائقة في قيادة المشاحيف عبر المسالك المائية المجهولة المحفوفة بالقصب العالي ، يستوي في ذلك الكبار والصغار والنساء .

والمرأة في الأهوار تتحمل عبئا كبيرا من مشاق الحياة القاسية ، فهي فضلا عن رعاية شئون البيت والأطفال ، تشارك الرجل في كثير من الأعمال ، حيث تقوم بقطع القصب ، وحياكة الحصر ، وحلب الجاموس والبقر ، وخض اللبن ، وصنع الجبن والزبدة والقشدة (الكيمر) ، وجمع المحاصيل الزراعية من أرز وخضروات ، وجرش قشور الأرز ، وبيع الطيور والأسماك في أسواق المدن ، وقيادة المشاحيف لجلب القصب والحشائش للجاموس والبقر.

ومن الطيور التي تكثر في الأهوار البط ، والبجع ، ودجاج الماء ، والخضيري ، والحر ، وغيرها من أسراب الطيور المهاجرة من برد الشمال لتجد في دفء الأهوار في الجنوب مكانا ملائما لها . ولهذا فان صيد الطيور في هذه المنطقة يعتبر مصدر رزق إلى جانب كونه رياضة محببة ، شأن صيد الأسماك التي تعيش في المياه العذبة وأشهرها الصبور والبني .

لقد شهدت هذه المنطقة في الفترة الأخيرة تحولا ملحوظا في حياتها الاقتصادية والاجتماعية ، فالحكومة توليها أهمية خاصة من حيث رفع مستوى سكانها تعليميا وصحيا واقتصاديا . فقد شقت فيها الطرق لربط المدن والقرى فيها رغم صعوبة تنفيذ ذلك . كما تقام فيها السدود والقنوات والخزانات الضخمة للتحكم في المياه ، وزيادة الرقعة الزراعية في الأهوار الموسمية ، وتجفيف المستنقعات. هذا وقد بوشر بزراعة قصب السكر على نطاق واسع ، وأقيم لهذا الغرض مصنع سكر ، يسد جزءا من احتياجات العراق من السكر . وللاستفادة من الغابات الكثيفة من القصب والبردي في الأهوار ، فقد انشئ مصنع للورق . هذا إلى جانب تحويل جزء كبير من الأهوار إلى منطقة سياحية يقصدها السواح للتمتع بمناظر الأهوار الطبيعية الخلابة □

تصوير : مايكل سبنسر

الضغوط النفسية وأمراض العصر

بقلم: د. محمد فوغلي فرج / أبها

لقد أدرك الانسان منذ الماضي البعيد تأثير الانفعالات على الحالة الجسمية . فقد عرف منذ القدم أن الحزن يقتل الرجال ، وأن الهموم تجلب الأمراض . وهذا يعقوب النبي ، عليه السلام ، قد ابيضت عيناه من الحزن ، ويقال ان فلانا مات كمدا .

وفي عصرنا الحديث أدرك العلم هذه العلاقة ، ووضعها تحت الدراسة الجادة الدقيقة للتعرف على طبيعة العلاقة بين الضغوط النفسية والمرض ، وكيفية حدوث تلك الأمراض ذات المنشأ النفسي ، وكيفية علاجها والوقاية منها .

ويكرس أحد العلوم الطبية — وهو « الطب السيكوسوماتي — Psychosomatic » جهوده لدراسة تلك الأمراض الجسمية التي تنشأ بفعل العوامل والمؤثرات النفسية . كما يدرس أحد فروع علم النفس وهو علم « الفسيولوجيا النفسي — Psychophysiology » تأثير الانفعالات على أجهزة الجسم المختلفة .

ولقد ربط العلماء بين « الانعصاب — Stress » وبين كثير من الأمراض التي تصيب الانسان مثل ارتفاع ضغط الدم ، وتصلب الشرايين ، وقرحة الجهاز الهضمي والقابلية للعدوى ، والصداع النصفي والربو .. وغيرها .

هذه الأمراض النفسية — الجسمية تنشأ عن الضغوط البيئية المحيطة بالفرد ، والتي يدركها على أنها مهددة له بشكل ما ، ويستجيب لها بتغيرات جسمية تعتري بعض أعضاء الجسم ، فاذا ما اشتدت هذه التغيرات أو أزمنت فانها تصبح مرضا عضالا . ويرى « والتر كانون » أن الأعضاء الحيوية في الجسم تتعرض للضرر غير القابل للاصلاح إذا استمر الجهاز العصبي المستقل في حالة استثارة مرتفعة من خلال الانعصاب المستمر دون فرصة للعمل الفعال . فاستجابات الجهاز العصبي المستقل المصاحبة للانعصاب تتلف أنسجة الجسم تلفا لا عودة منه .

ويصنف الكتيب التشخيص الاحصائي — رقم-٢/ D.S.M.-II الأمراض النفسية الجسمية إلى فئات منها :

- اضطرابات الجلد السيكوفزيولوجية — مثل الالتهابات والحكة وجفاف الجلد .
- اضطرابات الجهاز التنفسي السيكوفزيولوجية مثل ربو الشعب الهوائية .
- اضطرابات الجهاز الدوري السيكوفزيولوجية مثل ارتفاع ضغط الدم والصداع النصفي .
- اضطرابات الدم واللمف — Lymph السيكوفزيولوجية وتشتمل اضطرابات أجهزة الدم واللمف .
- اضطرابات المعدة والأمعاء السيكوفزيولوجية . مثل القرحة المعدية ، واضطرابات القولون والامساك ، وزيادة الحموضة .
- اضطرابات الغدد السيكوفزيولوجية وتشمل اضطرابات الغدد المختلفة .
- اضطرابات اعضاء الحس السيكوفزيولوجية وتشمل اضطرابات الحواس المختلفة التي ترجع لأسباب وجدانية .
- الاضطرابات العضلية العصبية .. وتشمل آلام الظهر وتقلص العضلات وصداع التوتر العضلي التي ترجع لأسباب نفسية .

هذه الأمراض « النفسية الجسمية — Psychosomatic » تنشأ عن الضغوط النفسية التي يتعرض لها الفرد ، والتي يدركها على أنها مهددة له بشكل ما . ويستجيب لها بتغيرات جسمية تعتّري بعض أعضاء جسمه ، فاذا ما اشتدت هذه التغيرات أو أزمنت فانها تصبح مرضا عضالا . وسوف نتناول بالحديث عددا محدودا من أمراض العصر ، مع تبيان دور الضغوط النفسية في نشأتها .

الانعصاب وارتفاع ضغط الدم

أصبحت كلمة ارتفاع ضغط الدم تثير الخوف عند كثير من الناس . وارتفاع ضغط الدم مرض صامت، يصيب الفرد فلا يحس بأية أعراض مرضية محددة إلى أن يكتشف الطبيب المرض ربما بطريق الصدفة المحضة . ووجه الخطورة في ضغط الدم أنه إن لم يعالج فإنه يصبح أشبه بقنبلة زمنية قابلة للانفجار .

وقد أصبح ارتفاع ضغط الدم مرضا واسع الانتشار لدرجة أنه يعاني منه حوالي ٢٠ ٪ من الراشدين بالولايات المتحدة . وفي المراحل المتقدمة لهذا المرض يزداد ضغط الدم داخل الشريان





التاجي — Coronary arteries » ، وقد يؤدي ذلك إلى تدمير القلب والكليتين أو قد يؤدي إلى انفجار في شريان المخ . كذلك يعتبر ارتفاع ضغط الدم من العوامل التي تؤدي إلى تصلب الشرايين .

وأحد الأسباب الرئيسية لارتفاع ضغط الدم الانعصاب النفسي . فمن المعروف أن الانعصاب أو « الاحباط — Frustration » يؤدي إلى ارتفاع مؤقت في ضغط الدم .

فاذا استمر الانعصاب لفترة طويلة فقد يؤدي ذلك إلى استمرار هذا الارتفاع في ضغط الدم حتى بعد زوال الانعصاب ، ليصبح بعد ذلك بمثابة زيادة دائمة ومزمنة في ارتفاع ضغط الدم .

ومن الأمثلة على تأثير الانعصاب ما حدث نتيجة لحصار مدينة ستالينجراد أثناء الحرب العالمية الثانية لمدة ثلاث سنوات مستمرة ، فلقد ارتفعت نسبة المصابين بارتفاع ضغط الدم من ٤ ٪ قبل الحرب إلى ٦٤ ٪ نتيجة لحالة الحصار . بل استمر هؤلاء الأفراد يعانون من ارتفاع الضغط حتى بعد انتهاء الحصار . كذلك تشير الدراسات الانتشارية « الوبائية — Epidemiological » في الولايات المتحدة إلى انتشار مرض ضغط الدم المرتفع بنسبة أكبر كثيرا بين السود الذين يعيشون في المناطق المنعزلة ذات الغالبية السوداء « الجيتو الأسود » حيث الحياة القاسية ، والمعاناة والاحباط والسخط . بينما نجد أن السود من أبناء الطبقة المتوسطة الذين يعيشون خارج تلك المناطق لا يعانون من هذا المرض . كذلك أظهرت الدراسات التي أجريت على السود الذين يعيشون في بلاد أفريقية لا يعانون من ارتفاع ضغط الدم بالدرجة الموجودة في الجيتو الأسود الأمريكي .

الانعصاب والأزمات القلبية

زاد معدل حدوث الأزمات القلبية في عصرنا الحاضر بعد أن كانت نادرة الحدوث في الماضي منذ أربعين أو خمسين عاما مثلا . وقد كشفت الدراسات الحديثة عن دور العوامل النفسية في حدوث الأزمات القلبية .

وترجع هذه الأزمات القلبية إلى تصلب الشرايين . وينتج هذا المرض عن ترسيب المواد الدهنية والتصاقها بالجدران الداخلية للشرايين . بحيث تصبح في شكل طبقات رقيقة تغطي تلك الشرايين ثم تتكلس وتتصلب . وبذلك تقل مرونة الشرايين ويقل اتساعها . وعندما تصبح الشرايين ضيقة متصلبة يقل تزويد القلب بالدم .

ويعني ذلك انخفاض الأكسجين الوارد إلى القلب وهو ما يؤدي إلى موت عضلة القلب الذي يترتب عليه حدوث انسداد يعوق ورود الدم إلى القلب كلية . ويعني ذلك توقف الحياة .

ويؤدي تصلب الشرايين إلى حدوث هذا الانسداد بعدة طرق :

أولا : يمكن أن تسد الطبقات الدهنية المتكلسة الشريان التاجي كليا .

ثانياً : تميل الرواسب الدهنية إلى تكوين جلطات يمكن أن تسد أحد الشرايين التاجية .

ثالثاً : قد تنفصل قطع من الصفائح الدهنية مع الجلطة وتسير في أحد فروع الشريان التاجي ، ولأن حجمها أكبر من أن يسمح لها بالمرور فيه فانها تبقى كالسدادة تمنع مرور الدم إلى أحد أجزاء القلب .

ومن المواد الدهنية التي تؤدي إلى حدوث تصلب الشرايين : الكولسترول — والتريجلسريد — Triglycrides وتشير الدلائل إلى أن هذه العناصر تزيد كنتيجة للانعصاب . ويبدو أن الانعصاب المفاجئ يرفع مستويات التريجلسريد ، أما الانعصاب المستمر لمدة طويلة فيؤدي إلى رفع مستوى الكولسترول بالدم .

وإلى جانب ذلك فان الانعصاب باحداثه للاستجابة الفزيولوجية الخاصة بالكر والفر يزيد من ميل الدم الى سرعة التجلط . وذلك مناسب لمواجهة الخطر في حالة القتال ، ولكنه يعتبر أحد المخاطر إذا تكونت الجلطة داخل الشرايين التاجية . ويربط روزمان وفريدمان R. Rosemon & M. Friedman بين الأمراض القلبية وطراز الشخصية . فهناك طراز مستهدف للأمراض القلبية أطلقا عليه اسم الطراز « أ » Type "A" ويتميز هذا الطراز بقلة الصبر ، والعدوانية ، والطموح ، ودائما في عجلة من أمره ، يميل لأن يفرض على نفسه الكثير من المطالب ، ولأن يشعر بضغط مستمر يدفعه للانجاز . ويعيش هؤلاء الأفراد الذين ينتمون إلى طراز الشخصية « أ » في ظل الضغط النفسي المستمر . أما طراز الشخصية « ب » — Type "B" فيقع على الطرف النقيض . فهو أقل ميلا إلى التنافس ، أميل إلى الصبر والتمهل والهدوء ، لا يسوقه التعجل والجزع ، أقل عرضة للغضب والعدوانية . يستطيع أن يفصل بين العمل والترويح ، وهو قادر على التريض والاسترخاء .

ويختلف الطرازان « أ » و « ب » في نواح هامة أخرى . فالأشخاص المنتمون للطراز « أ » أكثر عرضة للاصابة بأمراض القلب من المنتمين للطراز « ب » بنسبة سبعة إلى واحد . وتحتوي دماء الطراز « أ » على مستويات أعلى من الكولسترول ، والتريجلسريد . كما يحتاجون إلى وقت أطول لكي تتخلص دماؤهم من الكولسترول المضاف لوجبات الطعام . وبوجه عام هناك خصائص جسمية عديدة لدى أفراد الطراز « أ » ترشحهم للاصابة بالأزمات القلبية . وهذا يوضح دون شك دور الضغوط النفسية في احداث تلك الأمراض الجسمية .

الضغوط النفسية وقرحة الجهاز الهضمي

ترتبط القرحة المعدية في أذهان الكثيرين بالهموم والفكر ، وقد أكدت البحوث العلمية أن الضغط النفسي يمكنه أن يؤدي إلى حدوث الاضطرابات الخطيرة في الجهاز الهضمي .

وتحدث قرحة الجهاز الهضمي نتيجة لتأثير العصارات الهاضمة على غشاء المعدة ، وذلك لأنها تحرق الغشاء المبطن للمعدة . فالانفعال يؤدي إلى افراز المعدة للانزيمات الهاضمة وحامض الأيدروكلوريك وهي المواد التي تساعد على الهضم . ولكن عند وجود هذه الأنزيمات في معدة فارغة لفترة طويلة فانها تؤدي إلى اتلاف الأغشية المبطنة للمعدة . ويؤدي انفعال الغضب إلى تنبيه المعدة لافراز تلك الأنزيمات . ولقد أكدت ذلك البحوث الأكلينيكية التي أجراها الدكتور ستيوارت ولف — Stewort Wolf ، كما أظهرت الدراسات المعملية أن مقدار انزيمات المعدة يزداد زيادة كبيرة في حالات الضغط النفسي . كما تشير نتائج الدراسات المعملية التي أجريت على الفئران أن تعرضها لصدمات كهربائية مفاجئة ، وبدون دلائل سابقة تساعدها على التنبؤ بها ، يزيد من حدة قرح المعدة لدى تلك الفئران . وبذلك يمكننا القول بأن أحداث الحياة ومفاجآتها أيضاً إلى جانب انفعالات الغضب تعتبر سببا رئيسيا في حدوث القرحة المعدية .

ولا يتسع المقام هنا للحديث المفصل عن تلك الأمراض التي تنشأ عن الانعصاب والضغط النفسي . ويبرز السؤال الهام التالي : هل يمكن الوقاية من الانعصاب ومن أمراض العصر ؟ وما السبيل إلى ذلك حتى يعيش الانسان صحيحا سعيدا ؟ .

الأدب ، والواقعية ،

في كتاب « سواد في بياض » ، للأديبة الدمشقية الصديقة السيدة وداد سكاكيني محاسني ، مقال بعنوان : « الأدب المكشوف » ، تحدثت فيه حديثا عابرا عن بعض ألوان الأدب ومذاهبه . ومما جاء فيه قولها :

« واشتطت جماعة في مذهبها ، ففرضت على التعبير قيودا وحدودا لا تعبأ بمسوغات البيان ، وكان دأبها الهبوط بمعاني الأدب ومثاليته ، إلى مشكلات الشعب ومعيشته . وأخذت هذه الطائفة تردد كلمة « الواقعية » في آثارها ودعوتها ، فخلطت بين الموضوعية ومفهومها الخاص من الواقع الذي يقتصر على تصوير المجتمع بسواده ، وشعبيته ، بحرمانه وهوانه ، دون اكتراث للفن وقواعد التعبير واطاره ، وكأن الواقع البائس ، والتبرم الثائر ينبوان عن تذوق الفن ، والاحساس بالجمال ، أو أنه تخلى في كفاحه اليومي عن مطالب النفس ، حتى استغنى عن كل ما يخفف عن متاعبه هموم العيش والروح (ص / ٩٢) .

قرأت هذا وابتسمت ، لأن الذين يقولون مثل هذا — وأنا واحد منهم — أصبحوا اليوم جماعة ينكرها جيل الأدباء العرب اليوم ، ويرون في تفكيرها « رجعية ، وعمالة ، وخيانة ، وخروجا على مفاهيم العصر الأدبية » ، التي « تنبع من الشعب ، وتصب في الشعب » ، والتي « تعيش كفاح الجماهير الكادحة » ، وما إلى ذلك من التعابير العائمة الهاشمة السائبة ، فكأن معايشة الأدب للشعب والكفاح والجماهير ، معناها جفاف الأدب من التعبير الجميل ، وخلوه من سحر الكلمة والعبارة ، بل كأن « كفاح الشعب » يعني أن تجعل الشعب كله يحمل السلاح ويقتل ، ويكون كله ثائرا ، لا يعرف غير الصراع الطبقي ، وغير الحقد والنقمة ، وكأننا حين نضع في كل يد بندقية ، نجعل الكلام الهائج وحده كل الأدب وكل الفن .

ثم ان هذه المدارس الفكرية ، والمفاهيم الأدبية التي نتعامل بها ، انما نأخذها عن الغرب ، ولكننا نأخذها « ألفاظا » دون روح ، وعبارات ، أو كليشيهات جامدة دون حياة .

ان الواقعية مدرسة أدبية أخذناها — كما أخذنا أشياء كثيرة غيرها — عن الغرب ، ولكننا لم نأخذ معها روحها ومحتواها ، بل اكتفينا بالكلمة ، وفسّرناها على هوانا ، حين لم نجد لدينا من لطف الحس ومن جمال الأسلوب ما يعيننا على أن نترسّمها حسا وروحا — أي : نترسمها (فنّا) .

والواقعية ، عندنا ، معناها أن نقدم شرائح من حياة الجماهير ، ومن حياة الكادحين والمتألمين والمناضلين ، بعبارة جافة ، وأسلوب سردي تقريري ، خال من الروح التي تجعل الأدب أدبا ، والفن فنا .. يتغلغل في أعماق الحس ، ويترك أقوى الانفعال بالكلمة والعبارة .

الغربيون الذين نأخذ عنهم الاتجاهات والمدارس الأدبية والفنية ، والذين ننقل أقوالهم أحيانا نقلا ببغاويا ، دون أن نفهمه على وجهه الصحيح ، كتبوا أدبا فنيا جميلا وهم ينقلون أحاسيس الشعب ، ويصورون حياته . ويعكسون أشواقه وآماله ، وأفراحه وآلامه ، ولم يقدموا لأمتهم شرائح يابسة ميتة ، لا تمضغها أسنان ، ولا يبلعها حلقوم .

« دوستويفسكي » قدم أدبا جماهيريا شعبيا ، ومثله فعل « تولستوي » و « تورغينييف » ، و « غوركي » و « باسترناك » ، وكذلك فعل « اميل زولا » ، و « فيكتور هيغو » ، و « بلزاك » ، و «فلوبير» ، وكذلك «جوفاني فيرغا» ، و «بيرانديللو» ، و غراتسيا ديليدا» ، ومثلهم فعل « شكسبير » ، و « غوته » ، وأعداد كبيرة من أمثالهم . كلهم استوحوا أدبهم من صميم حياة الشعب ، ومن آمال الجماهير وآلامها ، ولكنهم قدموا شرائح من الحياة ، يتدفق منها الدم الحار فنا جميلا : التعبير الآسر ، والصور الرائعة ، والخيالات المحلقة كانت تزوق كل ريشة في أجنحتها ، وتلون كل عبارة . ولهذا يقرأ القارئ الكتاب من أعمال هؤلاء العمالقة ، ويشعر بأنه ، وهو يعيش حياة الشعب بكل ما فيها من المآسي ، ومن قسوة الصراع



للدكتور عيسى الناعوري / الأردن

اليومي للعيش ، يستمتع وينعم بجمال الفن المتمثل في العبارة ، والصورة ، والخيال ، واللون ، والنغمة الموسيقية في الكلام ، بعيدا عن الخطابية ، والصيغ التقريرية في السرد ، وفي ثنايا الكلام .

انه يبكي لما يستوجب البكاء ، وتهزه نشوة الفرح لما يستوجب النشوة والفرح ، ويثور لما يستوجب الثورة . وهو إنما يحس بذلك كله ، وينفعل ذلك كله بسحر العبارة الفنية ، والصورة الفنية ، والتأثير الذي يتركه الكاتب البارع الفنان في نفس القارئ ، وبما يستحوذ عليه من تناسق العمل الفني ، ومن اكتمال عناصره .

وأساليب التعبير تختلف بين كاتب وكاتب ، وبين شاعر وشاعر . وهي تنبع من موهبة أصيلة ، غذتها الثقافة الصحيحة ، وصقلتها التجارب الانسانية ، فعمقت وتأصلت ، وفاضت جمالا ومتعة وخيرا .

رواية « الفهد » الايطالية ، مثلا — وقد سعدت بأن ترجمتها بنفسي عن الايطالية إلى العربية — تتحدث عن ثورة « غاريبالدي » لتوحيد ايطاليا ، في منتصف القرن التاسع عشر . ولكنها تتحدث عن اضطراب الحياة ، وهياج الجماهير ، وعن الحرب ، والدماء ، وعن تغيّر طبقات المجتمع ، بتدهور طبقة النبلاء القديمة ، وظهور طبقة نبلاء غيرها من الأسر الشعبية الكادحة . ومع كل ذلك فان الرواية تمتع القارئ وتجعله ينفعل بالأحداث انفعالا عميقا ، ويشارك الأشخاص أحاسيسهم وانفعالاتهم ، وذلك بفعل سحر العبارة ، وجمال الأسلوب الفني المتماسك المتناسق الذي يقدم به المؤلف أحداثه وشخوصه . فهو لا يعتمد الأسلوب المباشر ، ولا السرد الجاف للأحداث ، ولا التقديم الباهت للأشخاص وأحاسيسهم وانفعالاتهم .

وتقرأ رواية « العروسان الموعودان » للكاتب الايطالي الشهير « أليساندرو مانتزوني » ، أبي المذهب الأدبي الواقعي الايطالي ، وهي من أهم الأعمال الروائية في الأدب الايطالي ، وزمانها القرن التاسع عشر ، ومكانها شمال ايطاليا ، فيشدك المؤلف شدا عميقا إلى متابعة الأحداث ، وانفعالات الأشخاص ، بأسلوبه الفني الأخاذ الذي يقدمه لك في سير الرواية الضخمة ، وأنت تتابع كل ذلك بانفعال حار ، وتظل تتلهف على معرفة ما يأتي من وقائع ، ومن فواجع ، ومن مآسي الطاعون وهو يفتك بميلانو ، ومن صراع اليأس لدى الخطيبين البائسين .

وتقرأ كذلك روايتي الكاتب الايطالي الواقعي جوفاني فيرغا : « المعلم السيد جيزوالدو — وأسرة مالافوليا » وهما من أهم الروايات الواقعية التي ظهرت في ايطاليا في الربع الأول من هذا القرن العشرين ، فتدهشك مقدرة الكاتب الفنية على معالجة الكفاح المرير في حياة «المعلم جيزوالدو وأسرة مالافوليا» ، وما عانوه من فقر شنيع ، كان يسوق المعلم جيزوالدو ، والأسرة البائسة بسياط من لهيب ، وصمودهم العجيب في الكفاح ، رغم المآسي الشديدة التي تواردت عليهم .

كل هذا من الأدب الواقعي الذي يصور كفاح الجماهير الشعبية الفقيرة المتألمة . ولكنه وهو يصور كل ذلك ، لا يقدمه في سرد جاف مباشر ، يقتل الرغبة في القراءة ، بل في أسلوب مؤثر .. للكلمة فيه سحرها ، وللعبارة فيه أسرها ، وللفقرة فيه تأثيرها القوي ، بالصورة المعبرة بقوة ، وبالخيال الذي يلون حقيقة الواقع ، فيشعر القارئ بأنه يعيش حياة الشخوص وانفعالاتهم ، وتتعاقب عينها التي تتعاقب عليهم ، ويحلل أحاسيسه وانفعالاته في تحليل أحاسيسهم وانفعالاتهم .

كذلك يفهم الغربيون الواقعية الأدبية ، وكذلك يمارسونها . أفنفهمها نحن ونمارسها كذلك ؟ أم أن الواقعية عندنا هي رمي « الدبش » في الكلمات ، باعتبار أن الواقعية لا تعرف التزويق والتلوين والخيالات ، ولا تؤمن بسحر الكلمة ، ولا أسر العبارة ، ولا تناسق العمل الفني .

وشكرا للصديقة السيدة وداد سكاكيني محاسني التي أوحى إلي كتابها « سواد في بياض » بهذا المقال □

أثر التلفزيون على انحراف الأطفال والشباب

بقلم: بسيوني الحلواني / المدينة المنورة

يقول العلماء ان الجيل الجديد ينشئه ثلاثة آباء هم : الأم والأب والتلفزيون .. وهذا القول تؤيده الدراسات والاحصاءات والتجارب الحديثة ، التي أجريت في كثير من الدول المتقدمة – وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا وفرنسا والدنمارك ونيوزيلاندا والسويد وأسبانيا – والتي أثبتت أن البرامج والأفلام التليفزيونية تترك تأثيرا واضحا على الشباب بصفة عامة والأطفال بصفة خاصة ، سواء كان هذا التأثير ايجابيا أو سلبيا ..

ويرجع الباحثون والدارسون ذلك إلى عاملين :

الأول : أن الأطفال والشباب يستمدون كثيرا من خبراتهم عن الحياة من برامج التلفزيون ، وأن خبراتهم الواقعية محدودة ، ولذلك يتقبلون ما يعرضه التلفزيون دون مناقشة أو تفكير ، فتكون درجة امتصاصهم للمادة المعروضة أكبر ما يمكن في مرحلة الطفولة .

الثاني : انه كلما صغرت سن الفرد وقلت خبرته صعب عليه الفصل بين الواقع الحقيقي الذي يعيش فيه ، والواقع المعدل أو الخيال الذي تقوم عليه البرامج ، ولذلك غالبا ما يعتقد أن ما يعرضه التلفزيون حقيقة واقعة .

آثار سلبية

إذا كان التلفزيون يقوم بوظائف عديدة ، ويؤدي خدمات كثيرة للشباب والأطفال – منها الترفيه والتعليم والتثقيف واكتساب الخبرات والمعارف واشباع الرغبات التي لا يستطيعون تحقيقها في حياتهم الواقعية ، فقد أسفرت البحوث والدراسات والتجارب التي أجريت في عديد من دول العالم التي قام بها علماء الاعلام والاجتماع وعلم النفس عن الآثار السلبية التالية :

° يؤثر التليفزيون على الأطفال تأثيرا مباشرا حيث يضطرهم إلى النوم متأخرين ، مما يجعلهم يذهبون إلى المدرسة متعبين ، وغير مهيأين لتلقي الدروس في يقظة ، كما أنهم لا يؤدون الواجبات المنزلية كما ينبغي ، ولا يتوفر لديهم وقت للاطلاع والقراءة .

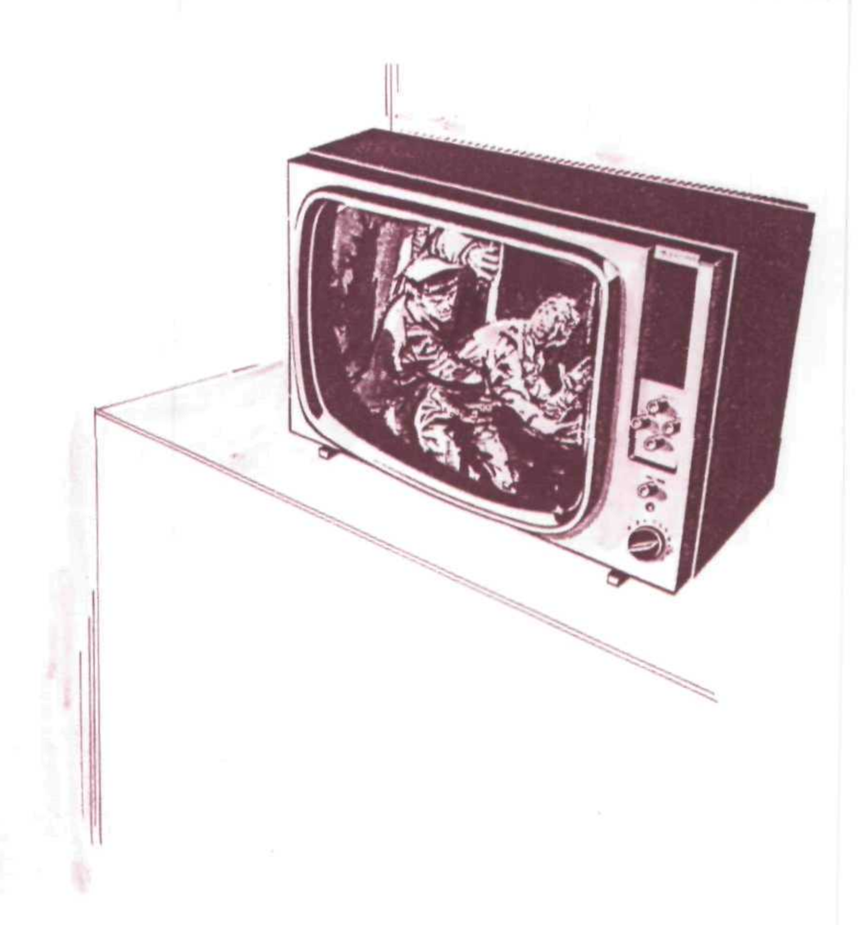
° مشاهدة التليفزيون سلوك سلبي ، فالطفل لا يقوم بعمل ايجابي ، ولكنه يجلس أمام الشاشة ويستسلم لها ، ومثل هذا التعرض السلبي للمضمون التليفزيوني يعد شخصيات سلبية ، كما أنه يظهر الراشدين على الشاشة في ظروف مليئة بالصراع ومفعمة بالتنافس مما يؤدي إلى تكوين مفاهيم غير مرغوب فيها لدى الأطفال عن الكبار .

° يحتوي التلبفزيون على برامج تشمل أفلاما ومسلسلات مليئة بمشاهد العنف والاثارة والعدوان وغيرها من مظاهر التكيف غير السوي مع المجتمع ، وهذا بدوره يؤدي إلى تكوين شخصيات منحرفة ، ذات قيم معادية للمجتمع .

جامعة الجريمة

ولقد بلغ الهجوم على التليفزيون حدا جعل « ستيفن بانا – Steven Banay » ، وهو طبيب نفسي وأستاذ بجامعة كولومبيا يقول : « إذا صح أن السجن هو جامعة الجريمة ، فان التليفزيون هو المدرسة الاعدادية لانحراف الأحداث » .

ويؤكد « جيرهارد كلوسترمان – Gerhard Closterman » في كتابه « التربية الفنية من خلال الأفلام » أن تأثير التليفزيون وما ينشأ عنه من ايحاءات للطفل أمر خطير للغاية في حالة الطفل المعوق وهو عادة طفل عدواني قوي شرس ، يشعر بالاحباط ، وليست لديه



حاسة فنية ، ولكنه يتأثر بأفلام العنف تأثرا مباشرا .. وعندما يصاب الطفل بالاحباط ، ويشعر بخيبة الأمل لعجزه عن الحصول على ما يعرضه عليه التليفزيون ، أو يفعل ما يفعله الآخرون ، فانه يصاب بالتوتر والقلق ، مما يؤدي بالتالي إلى الانحراف والسلوك غير الاجتماعي .

وتوضح دراسات العالم الفرنسي « جان جيرو — Jean Jiroud » أسبـــاب سوء التكيف بين المنحرفين في باريس ، ويرجع هذه الانحرافات إلى مشاهدة أفلام حول العنف .. كما يؤكد العالم الهندي « ألوف برول — Oluf Bruel » أن كثيرا من أمراض الخوف التي تصيب الأطفال ترجع إلى مشاهدة الأفلام السينمائية والتليفزيونية .

عـــلاقـة واضحـة

وقد أجرى الدكتور « وليام بيلسون » ، أستاذ العلوم الاجتماعية البريطاني ، دراسة لمعرفة العلاقة بين مشاهدة الأطفال لأعمال العنف على شاشة التليفزيون وبين اكتساب سلوكهم صبغة العنف في حياتهم العملية . ومن نتائج هذه الدراسة أن الصغار الذين يشاهدون الكثير من برامج العنف على شاشة التليفزيون يتسم سلوكهم بالعنف بدرجة تزيد مرتين على أولئك الذين لا يشاهدون إلا القليل من هذه البرامج ، وأن هناك خمسة برامج تليفزيونية تتسبب في اقبال الأطفال والشباب نحو مظاهر العنف وهي : الأفلام المتعلقة برعاة البقر ، وبمباريات الملاكمة والمصارعة ، وبالتمثيليات التي تظهر على الشاشة ، وممارسة الأشخاص للعنف ضد بعضهم البعض ، والبرامج التي يظهر فيها الصغار وهم يزاولون العنف ، والبرامج التي تظهر العنف وكأنه سلوك طبيعي .

مـــن آفـات التـليفزيون

لقد ثبت من دراسات العالم النيوزيلندي « جوردون ميرامز — Gordan Mirams » أن أفلام العنف والمغامرة والأفلام البوليسية تخيف الأطفال وتروعهم حتى أن بعضهم يحاول مغادرة السينما أو دار العرض أو جهاز التليفزيون ، والبعض الآخر يصاب بالغثيان ، والبعض يصاب بأمراض نفسية كالتبول اللاإرادي أو حالات الذعر والكابوس أثناء النوم .

وتدل الاحصاءات الأخيرة التي أجريت في أسبانيا أن ٣٩ ٪ من الأحداث المنحرفين قد اقتبسوا أفكار العنف من مشاهدتهم للأفلام والمسلسلات والبرامج العدوانية التي تدور أحداثها حول ارتكاب الجرائم ، وطرق الاعتداء على الناس .

أدلـــة وَبراهِــيْن

يورد العلماء أمثلة عديدة وأدلة كثيرة تبرهن جميعها على أن الأطفال الصغار والشباب يقتبسون أفكار الجريمة والعنف من مشاهدتهم الأفلام والمسلسلات والبرامج العدوانية التي يعرضها التليفزيون .. ومن هذه الأمثلة :

- في مدينة بوسطن الأمريكية رسب طفل عمره ٩ سنوات في معظم مواد الدراسة ، فاقترح على والده أن يرسل صندوقا من الحلوى المسمومة إلى المدرسة ، وعندما استوضحه والده ذلك قال انه أخذ الفكرة من برنامج تليفزيوني .
- في مدينة نيويورك طلب طفل عمره ٦ سنوات من والده وهو ضابط في الشرطة ، أن يعطيه طلقات نارية حقيقية لكي يطلقها على أخته عندما يلعبان .. وكانت هذه الفكرة مصدرها مسلسل تليفزيوني .
- في مدينة لوس انجلوس بولاية كليفورنيا الأمريكية ضبطت أم طفلها وعمره ٧ سنوات وهو يرش زجاجا مجروشا فوق الحساء قبل تقديمها على المائدة ، وعندما سئل

عن السبب قال انه شاهد ذلك على شاشة التليفزيون فأراد تقليده وتجربته .

- في مدينة بون الألمانية قامت فتاتان في الثانية عشرة من عمرهما بقتل صبي غريب عنهما ، اتضح للمحقق في هذه الجريمة أنهما قد شاهدتا في اليوم السابق لارتكاب الجريمة فيلما تليفزيونيا انتهى بجريمة قتل ضد بطل الفيلم .
- عرضت شبكة التليفزيون الأمريكي -NBC فيلما عنوانه « ولدت بريئة » وهو يدور حول قصة فتاة من فتيات المدارس الصغيرات عمرها عشر سنوات تتعرض لاعتداء عنيف عليها ، وبعد عرض الفيلم بأربعة أيام ، قام أربعة من الصبية بتقليد احداث الفيلم وكانت الضحية فتاة تماثل بطلة الفيلم في السن اسمها « أوليفا نيامي » ، وقد أثارت هذه الجريمة المجتمع الأمريكي بأكمله وشغلت وسائل الاعلام الأمريكية فترة طويلة حتى رفعت أم الفتاة دعوى تعويض أمام المحكمة طالبت فيها لابنتها بتعويض قدره أحد عشر مليونا من الدولارات .

دفاع عن التليفزيون

على الرغم من اتفاق عدد كبير من العلماء على الأثر السلبي الذي تركه برامج العنف والاثارة على الأطفال فاننا نجد بعض الباحثين المحدثين يقللون من تأثير هذه المضار على جميع الأطفال على أساس أن الطفل السوي لا يكون ضحية هذا التأثير السلبي كما أنه لا يمكن التكهن بالآثار السيئة لمضمون برامج العنف وحدها بدون التعرف على طبيعة الأطفال أنفسهم والبيئة المحيطة به .. وعلى ذلك فان التليفزيون ليس مسئولا وحده عن الأمراض النفسية والعصبية التي قد يقع الأطفال ضحيتها .

يرى فريق آخر من الباحثين الاجتماعيين والاعلاميين أن التليفزيون لا يتسبب في انحراف الأطفال والشباب ، وانما هو مظهر للانحراف ، ودوره في ذلك كدور المادة الكيميائية المستعملة في تظهير الصور الفوتغرافية إذا ما وضعت فيها الأفلام أو الورق الحساس بعد التصوير ، فليست هي المكونة للصورة ، وانما هي التي كشفت عنها وأظهرتها للعين ، فالتليفزيون لا يغرس في الشباب الانحراف ، ولكنه يكشف عن انحراف المنحرف ويظهره للمجتمع عن طريق مده بالوسيلة المصورة التي قد يستعين بها في تنفيذ السلوك السيء ، ويؤيد ذلك ما وجده العلماء عندما استقصوا الجرائم التي ارتكبها بعض الأحداث ، واتضح لهم أنهم اقتبسوها فقط من مشاهدتهم للتليفزيون .

قيم الأسرة وقيم التليفزيون

يزعم فريق ثالث أن التليفزيون ليس هو المؤثر الأساسي على اتجاهات الأطفال وقيمهم في أغلب مجالات الحياة ، ويقولون : عندما يتناول التليفزيون قيما ونماذج للسلوك لا تتفق مع القيم والنماذج التي ينقلها الآباء إلى أبنائهم ، فان ما يحدث غالبا هو أن القيم الأسرية هي التي يكون لها اليد الطولى ..

تأثير وبائي

بناء على ما تقدم فان كثيرا من دول العالم تأخذ برأي هؤلاء الباحثين الذي يقلل من آثار التليفزيون السيئة على الأطفال . وعلى أساس أن الطفل العادي السوي هو المعيار الذي يقاس عليه .. ولكن الحقيقة - كما يقول الدكتور إبراهيم امام ، ان وسائل الاعلام وخاصة التليفزيون أصبحت جماهيرية بحكم طبيعتها ، ومن ثم فان تأثيرها وبائي عام ، ولا يمكن القول بأن الوباء غير ضار إذا نجا منه بعض الأفراد ، وحتى المريض الذي يشفى من آثار الوباء ويظل معتدلا أو مصابا بمضاعفات أخرى لا يمكن اهماله أو التهوين من شأنه .

يرفض كثير من العلماء والباحثين في علم النفس والاعلام الاتجاه القائل بأن التليفزيون لا يؤثر على الأطفال مباشرة ، فيقول الأستاذ الدكتور حسن شحاتة سعفان في كتابه « علم الجريمة » : ان كثيرا من الأفلام السينمائية والتليفزيونية تعمل على بث روح الجريمة في الشباب والأطفال ، حيث تصور المجرم بصورة بطولية بشكل يثير الاعجاب بشخصيته ، أو الأفلام العاطفية التي تثير الغرائز ، وتسخر من بعض العادات والتقاليد والمثل العربية الأصيلة ، وتؤدي إلى الاستهتار بهذه العادات .. وهناك من الأفلام والمسلسلات ما يصور امكانية الفرد من العيش عاطلا بلا عمل أو عن طريق خداع الآخرين أو النجاح بالحظ والصدفة لا بالاجتهاد والكفاح ..

تساؤلات !!

يقول الأستاذ الدكتور ابراهيم امام في كتابه « الاعلام الاذاعي والتليفزيون » : الحقيقة أن الكذب يمارس كل يوم في المشاهد التليفزيونية على اختلاف أنواعها .. فكيف نلوم أطفالنا إذا اتجهوا نحو المبالغة والتهويل ؟ وكيف نقنع أبناءنا بعد ذلك بجدوى الاقتصاد وأهمية انكار الذات ، وقيمة الصبر ، وفائدة العمل ، وضرورة ضبط النفس ، وبذل الجهد والمثابرة ، والتخطيط للوصول إلى أهداف سامية وغايات نبيلة ، وتحقيق المثل العليا ، مادامت أجهزة الاعلام سادرة في غيّها ومستمرة في خط تربوي مضاد لكل ذلك ؟

يتساءل الدكتور ابراهيم امام قائلا : كيف يتفوق التلاميذ الذين سهروا الليالي أمام شاشات التليفزيون يتعاطون برامج معطلة لعقولهم ونفوسهم وقلوبهم جميعا .. انهم يتعودون على السهر ويذهبون إلى مدارسهم كسالى يكادون ينامون في فصولهم الدراسية ، كما يصابون بأمراض أهمها السرحان وشرود الذهن وعدم التركيز والاستغراق في عالم الخيال ..

وتطالب الدكتورة فوزية فهيم في كتابها « التلفزيون فن » بضرورة الالتزام بقوانين حماية الأطفال من التلوث التليفزيوني ، والتي تنص على عدم عرض أو اذاعة :

- ما يسيء إلى سمعة الوطن أو تاريخه .
- ما ينافي الآداب العامة .
- ما يوحي بالجريمة أو يحرض عليها أو يمجدها .
- ما يثبط الهمم أو ينفر من العمل أو من العلم والعلماء .
- ما يشجع على البطالة أو الاستهتار .
- ما يشجع على الاعتقاد بأن النجاح بالحظ لا بالجد والاجتهاد .
- ما يحوي ألفاظا مغلوطة أو عبارات نابية .
- ما يمس الآباء أو الأمهات أو كبار السن .
- ما يسخر من العاهات أو العيوب الخلقية .

كلمة أخيرة ...

بعد أن استعرضنا كافة الآراء والاتجاهات حول تأثير التليفزيون على أطفالنا وشبابنا ، وبعد أن أثبتت الدراسات والتجارب والاحصاءات أن البرامج والأفلام والمسلسلات التي تتضمن ألوانا من العنف والاجرام تؤثر تأثيرا مباشرا على الأطفال ولشباب ، وبعد أن ثبت أن معظم الأطفال المنحرفين قد اكتسبوا سلوكهم الاجرامي من التليفزيون .. بعد كل هذا .. أرى أنه من واجبنا أن نحمي أطفالنا من الانحراف وذلك بتنقية البرامج والأفلام والمسلسلات من كل ما من شأنه أن يؤثر في سلوكهم ومستقبلهم □

تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية

أعدها وأجراها: ابراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير

هذه خاتمة لقاءاتنا التي أجريناها في المغرب العربي حول التعريب ومشاكله والخطوات التي يجرى انجازها لتحقيقه. وكنا قد نشرنا الجزء الأول منها في عدد ربيع الثاني ١٤٠٣هـ.



نلتقي في هذا العدد مع اثنين من المهتمين بقضية التعريب في المغرب العربي . أحدهما معالي الأستاذ عبد الهادي بوطالب – مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ووزير العدل السابق الذي أشرف على تعريب القضاء عام ١٩٦٥ م . والآخر هو سعادة الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، مدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، التابع لجامعة الدول العربية .

وقد التقينا مع معالي الأستاذ بوطالب في مكتبه بحي اكدال بمدينة الرباط وكان السؤال الأول ، الذي طرحناه ، حول نشأة المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ومهامها وغاياتها ، فقال :

□ جاءت فكرة انشاء المنظمة في أوائل شهر مايو الماضي استجابة لتطلعات البلاد الإسلامية نحو منظمة تعمل على انماء اللغة العربية وتأصيلها وتعميق أبعادها داخل المجتمعات الإسلامية ، وهو مطمح نبيل ومشروع بحق المنظمة الإسلامية . ولقد اتخذت خطوات واسعة على طريق التضامن الإسلامي السياسي من خلال مؤسسات اسلامية تستهدف تعميق الفكر وتنسيق الجهود الثقافية بين مختلف أجزاء العالم الإسلامي ، والقيام بعمل مشترك بين هذه الأقطار بعضها البعض . وفي مرحلة أخرى ، لإحداث تبادل فكري بين العالم الإسلامي من جهة ، وبقية أجزاء العالم من جهة أخرى .

وإذا ما تحقق ذلك فانها ستتيح فرص التعاون والوفاق الدولي بحيث تبدو المنظمة منفتحة وغير منغلقة ، فهي لم تنطلق من أساس تعصب أو انغلاق ، وانما من أساس منفتح للتعريف بحضارة الإسلام ولغته وللاقتباس من الحضارات الأخرى بما يتلاءم وحضارتنا الإسلامية ، والحضارة الانسانية بصفة عامة هي مجموعة تفاعلات بين مختلف الحضارات .

القافلة : ما هي الصعوبات التي واجهتكم ، عندما كنتم وزيرا للعدل ، وعربتم القضاء والمرافعة . وهل يمكن أن يواجه التعليم العالي – إذا ما عرّب – مثل تلك الصعوبات ؟

□ **بوطالب** : الصعوبات التي واجهتنا هي الصعوبات ذاتها التي تأتي في بداية الانطلاقات . فقد انطلقنا من الصفر ، وكل من ينطلق من الصفر يواجه صعوبات متعددة . مادية وبشرية وتقنية ... الخ . ذلك أنه من بين التطلعات الوطنية التي كانت ضمن أهداف الحركة الوطنية قبل الاستقلال أن يلتحق المغرب بالركب العربي رسميا ، لأنه عربي شعبا وشعورا واحساسا . فكان لابد أن يترجم هذا الشعور الشعبي في القاعدة لينعكس على الإدارة والأطر التي تسيّر المغرب . ومن جملة ما فكر فيه البرلمان المغربي الأول أن يحقق ، على الأقل ، التعريب الكامل في ميدان القضاء – المحاكم والمرافعات ولغة القضاء والأحكام والمذكرات القضائية .. الخ ، وكان ذلك في عام ١٩٦٥ . وقد صدر قرار بذلك يلزم وزير العدل بتعريب القضاء وتوحيد المحاكم والتشريع ، وكذلك مغربة القضاه أيضاً ، إذ كان معظم الهيئة القضائية فرنسية في ذلك الوقت ، وقد أعطي لوزير العدل مدة سنة ونصف لعمل كل هذا .

بطبيعة الحال كان ذلك تحديا كبيرا ، ومشروعا يتسم بالطموح القي على كاهلي في ذلك الوقت . فعزمت أن أحقق هذا الطموح وأنفذ المشروع وكانت الظروف صعبة جدا ، لكن الأمر تم انجازه ، بعون الله ، قبل الموعد ببضعة أشهر . ولا يرجع الفضل بذلك إلى وزير العدل وحده بل لأنني كنت محاطا بمجموعة كريمة من رجال القضاء ، وبوضع الرجل المناسب في المكان المناسب بعد احصاء كمي وكيفي وتقسيم العمل إلى مراحل أخذنا في تعريب اللغة ومغربة الأجهزة والأطر شيئا فشيئا فتم ذلك في ظرف ١٣ شهرا بدلا من ١٨ شهرا .

كان المراد من تعريب القضاء أن يكون مرحلة لتعريب الإدارة تعريبا شاملا ، فلا يمكن أن يفصل قطاع القضاء عن القطاع الإداري العام وغيره . وكان من الممكن أن يكون وجود هذا القانون حافزا للحكومة المغربية على تحقيق التعريب والمغربة والتوحيد ، لكن – بكل أسف – سارت الأمور عفويا في القطاعات الأخرى ولايزال التعريب يمضي شيئا فشيئا ولكن ليس بنفس القوة التي سار بها في وزارة العدل ، نظرا لأنه لا يوجد قانون ملزم محدد لمرحلة معينة ولظرف معين في سير هذا التعريب .

وبطبيعة الحال ، هذا تعريب من فوق . والتعريب يقتضي أن يبدأ من القاعدة ، وفي نظري يجب أن يبدأ التعريب من المدرسة الابتدائية . فلقد عانينا ظروفا استعمارية صعبة استهدفت مسخ روحنا الذاتية ، أي القضاء على الشخصية الثقافية الوطنية . وكان من الممكن أن نعاني أكثر مما كان ، غير أن الفترة كانت قصيرة ، نحو نصف قرن ، ولو كانت أطول لوجدنا أنفسنا أمام صعوبة أكثر ، كما حدث في الجزائر ، وقد وجد الأخوة الجزائريون مشقة كبيرة للتخلص منه .

وما أود أن أضيفه هنا هو أن قضية التعريب ليست قضية مغربية بقدر ما هي قضية قومية . فكل البلاد العربية تشكو من فقد التعريب ، وإن كان للمغرب دوره الذي اشتهر به في هذا ، فنحن نعاني من الفرنسة بينما اخواننا في المشرق يعانون من النجلزة . وإذا كان المستعمر قد حاول



الأستاذ عبد الهادي بوطالب يتحدث إلى الزميل ابراهيم الشنطي .

أن يحيي لغة ميتة في شخص اللغة البربرية في المغرب ، فاننا نجد ان اخوتنا في المشرق لم يسلموا من محاولة التتريك . وقد قمنا بنقد ذاتي لوضعنا ، واردنا أن نعالجه بالاعلام الواقعي اللازم ، بينما لا يقوم اخواننا في المشرق العربي بالجهود نفسها . فلا أحد في المشرق العربي يتكلم الفصحى وانما يتكلمون لهجات عامية ، فكلنا في اللهجة سواء في هذه الناحية ، مع فرق وحيد ، هو أننا هنا في المغرب ندرك أننا لا نتكلم الفصحى . وكثيرا ما يتساءلون لماذا لا نتكلم نحن اللغة نفسها ، أي اللهجة العامية التي يعتبرونها لغة فصحى . لذلك فالعالم العربي في حاجة إلى التعريب . وكذلك من ناحية التعليم الذي لايزال يعاني من ازدواجية اللغة . فباستثناء المجهود الذي قام في سوريا ، لاتزال أكثرية الدول العربية تعلم بلغة أخرى في التعليم الجامعي ، ولم تستطع أن تحقق التعريب في جميع أطوار التعليم العالي . وسوريا هي الدولة العربية الوحيدة التي تدرس الطب باللغة العربية . لكن التعريب الذي حققته سوريا ، بكل أسف ، لايزال — في نظري — ناقصا ، لأنه تعريب انفرادي بمعنى أنه إذا أخذنا المصطلحات العربية التي تستعمل الآن في سوريا لا نجد لها نظيرا في بلد عربي آخر وبالتالي فان السوري يستفيد من التعريب ولكن ليست له انعكاسات على العالم العربي (١) .

• القافلة : هل تعتقدون أن التعليم العلمي الجامعي في سوريا في مستوى التعليم في البلدان الأخرى ، عربية وأجنبية ؟

□ **بوطالب** : هذا السؤال يردني إلى سؤال سابق عن الصعوبات التي اعترضتنا لدى تعريب القضاء في المغرب . وبالتالي هل سيكون التعريب على حساب الجودة .. على حساب فقه القضاء الذي كان يلقن ويمارس بلغة أجنبية ، وهل اللغة العربية قادرة على استيعاب ذلك الفقه وتلك النصوص ؟ في رأيي انه إذا تمكن المرء من العلوم التي يدرسها ، فان اللغة تصبح عندئذ ثانوية أو تابعة . لكن الشيء الذي يخشى هو أن ينزل المستوى التعليمي إلى درجة يصبح معها التعليم بأية لغـة غير قادر على تكوين المواطن الصالح والعالم الحقيقي . من أجل ذلك يجب أن يكون المستوى جيدا ، وعند ذلك يكون التعليم صحيحا ، وتأتي اللغة مكملة



يعقد موظفو مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، في مقره بمدينة الرباط ، اجتماعات دورية لدراسة المواضيع المطروحة على ساحة التعريب .

تصوير : شيخ أمين

لـه . ويجب ان لايؤدي التعريب ، إلى انزال المستوى ، وهذا ما أعتقده ، لأن اللغة العربية قادرة على استيعاب جميع الحاجات العلمية التي يحتاج إليها المحاضر أو الأستاذ في الجامعـة أو المعهـد . يجب الابقاء على الجودة ، يجب أن يكون خريجو الجامعات العربية في مستوى خريجي الجامعات العالمية . وبعبارة ثانيـة يمكن أن نقول ان التعريب من ناحية أخرى ، لايزال الآن في المرحلة الأولى مما ننشده . نحن في مرحلة استهلاك ما يرد إلينا ، بنفس اللغة التي تورد هذه المعطيات إلى بلادنا . ونستطيع أن نصبح ، عندما نأخذ تعليما صحيحا ، منتجين بلغتنا ولأنفسنا ، ونستطيع أن نصبح بعد ذلك مصدرين ومتفاعلين بلغتنا ، ليس فقط حبا في اللغة العربية ، ولكن أيضاً في مستوى ما نستطيع أن تقدمه اللغة العربية من معطيات وتقنيات وحقائق علمية جديدة . ففي نظري ان الأساس الأول هو جودة التعليم واعداد المعرفة لتكون في مستوى المعرفة العالمية .

• القافلة : تُرى ، هل باستطاعة المغرب توفير الأساتذة الذين يمكن أن يقوموا بهذا الأمر ؟

□ **بوطالب** : أنا أؤمن بسهولة تعريب العالم ، فالعالم المثقف بأي لغة تستطيع أن تعربه بسهولة ، لكن يصعب تعريب الجاهل . ان من يهضم العلم بأية لغة من السهل عليه أن يكيف نفسه ليخرج تلك المعطيات بلغته . لكن ماذا ستفعل برجل لم يستوعب العلم بأية لغة ! وبعبارة أخرى يجب ألا نقول ، كما يقول من يفكرون بفكر أجنبي في بلادهم العربية ، عندما نعود إلى اللغة العربية سترد نا إلى الخلف لأنها غير قادرة على استيعاب جميع المعطيات . ولكن لو كونا الانسان العربي في حظيرة التخلف لصعد إلى الجامعة وهو متخلف . أما إذا كوناه قويا في علمه ، حتى بلغة ثانية ، فباستطاعتنا أن نجعل منه رجلا عالما وصالحا بأية لغة ، وبلغته أولا ، وأيضاً بدون صعوبة . أنا أعرف عددا من المتخصصين لم يدرسوا أساسا بلغتهم العربية ، ولكن درسوا وأجادوا وأتقنوا علوم المعرفة واستطاعوا أن يكونوا أنفسهم حينما تعلموا

(١) للدكتور محمد أحمد سليمان حديث مسهب عن نشاط التعريب في الجامعة السورية نشر ضمن ندوة القافلة حول التعريب ، في عدد محرم ١٤٠٢ هـ .

العربية ، لأنهم كانوا محتاجين فقط إلى أداة التعبير ، ولم يكونوا محتاجين إلى المحتوى ، فهو موجود لديهم ، وهذا الذي يجب أن نفكر فيه . لذلك أعود فأقول ان التعريب يجب أن يبتدئ ، في الأساس ، من القاعدة وعلى أساس الجودة لأنه عندما يصل إلى درجة جامعية ، ويصبح اطارا ، يجب أن يكون ذلك الاطار صالحا للتصدير ، أي أنه يجب اعطاء العلم الصحيح . وأذكر على سبيل المثال أنه عندما وقعت نكسة ١٩٦٧ م ، دعت الجامعة العربية إلى اجتماع مستعجل لتدارس محو آثار العدوان . وكنت حينذاك وزيرا للتربية الوطنية وذهبت إلى الجامعة العربية على رأس الوفد المغربي نائبا عن وزير الخارجية ، وكان لي حديث مع الأستاذ عبد الخالق حسونة ، فقلت له : يجب في البداية ، لمحو آثار العدوان ، أن نبدأ من القاعدة وهي أن ننشىء المواطن العربي العالم التقني القادر على محو آثار العدوان .

القافلة : لقد سار المغرب شوطا لا بأس به في مجال التعريب ورأينا من المسؤولين الذين قابلناهم اهتماما كبيرا في هذا السبيل لكن الناس ، في الشارع ، لايزالون يتحدثون الفرنسية ويكتبون بها أكثر من العربية ، أي أن تأثير التعريب في المجتمع لايزال ضعيفا ، أو لاتزال الفرنسية هي الأكثر استعمالا ، فما أسباب ذلك ؟

□ **بوطالب** : ذلك بسبب واقع الاستعمار القديم ، فاستقلالنا لم يمض عليه أكثر من ٣٠ سنة . ومما لاشك فيه أن خطوات التعريب كثيرة ، فقد أصبح التدريس ، في المرحلة الابتدائية ، باللغة العربية فقط ، ولم تعد العربية يتيمة كما كانت في عهد الاستعمار . ففي أول عهد الاستقلال كان لدينا ٢٤٠ ألف طالب ، أمـا اليوم فيوجد نحـو مليوني طالب . الأمر ربما يرجع إلى ارادة سياسية ، ولهذا ظروف خاصة . فلو أن العرب كانوا في القرار السياسي في المستوى لكان التعريب أيضاً في المستوى ، ولكن عندما تقع اهتزازات أو انتكاسات ، فان الشعور العربي يصبح أيضاً محل تساؤل ، هل هو الطريق الصحيح الموصل أم يجب أن نميل عن هذا الطريق الذي أوصلنا إلى هذه الانتكاسات ، ولا تظن أن التعريب بعيد عن واقع العالم العربي السياسي . فلا يستطيع رجل أن يقنع آخر ، شاردا بفكره في العالم الأجنبي ، بأن واقع العالم العربي جيد وأن التعريب هو الطريق الصحيح لبلوغ الأهداف المنشودة . وقد يقول هذا الآخر وإلى أين وصلنا مع العالم العربي وإلى أين جرنا التعريب ، فكل شيء متصل بالقرار السياسي ، وبكل أسف ينعكس أثر الواقع السياسي على كل المجالات والميادين .

القافلة : كم تبلغ نسبة الأمية في المغرب ؟

□ **بوطالب** : تبلغ نسبة الأمية هنا في المغرب حوالي ٧٥ في المئة من مجموع السكان ، غير أن مخصصات التعليم في الموازنة الحالية تمثل نحو ٣٠ في المئة . ولايزال هناك بعض الأطفال ممن هم في سن التعليم ، خارج المدارس .

القافلة : ما هو مدى تقدم التعريب في الوزارات الأخرى ؟

□ **بوطالب** : التعريب موجود في مختلف القطاعات ، لكن نسبة سيره تختلف بين قطاع وآخر . وقد يسير التعريب في مجال ما ثم يتعثر فيتوقف ويتراجع . ولكن المهم هو المحتوى . يجب أن يمضي التعليم باللغة العربية مع المحافظة على المستوى العلمي الجيد في الوقت نفسه . لكن التعريب يصطدم في بعض الحالات ، بوجود طريقة تعريب خاصة لكل بلد ومنهاج خاص كذلك . فالوثائق التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب لا يتم تبنيها جميعهـا . المصطلحات المعربة لاتزال تختلف من قطر إلى آخر . حتى بالنسبة لطرق التعليم لايزال فيها اختلاف . ففي نظري يجب أن يكون هناك الكتاب المدرسي الموحد والمحاضرة الموحدة والبحوث والاصطلاحات العلمية وما إلى ذلك . وكذلك لا يجوز أن يكون التعريب مقصورا على قطر واحد ، فلا يوجد في أي بلد عربي أي جهاز يسمى جهاز التعريب العربي . فالجامعة العربية لم تضع هذا الجهاز بعد ، فاذا سألت في أي بلد من المسؤول عن التعريب فقد لا تجده . لا توجد هيئة متخصصة من أجل الاتفاق على منهجية التعريب بين البلدان العربية . ولهذا نجد سير التعريب ، في الشارع ، ضعيفا . فالمجهود لا يمكن أن يتم انجازه من قبل يد واحدة لأنها لا تصفق وحدها .

القافلة : اذن هل ترى بضرورة ايجاد قرار سياسي للتعريب ؟

□ **بوطالب** : القرار فقط لا يكفي ، لأن القرارات السياسية على المستوى الأعلى لا تطبق . يجب أن تكون هناك الإرادة السياسية للتعريب وان تكون هناك هيئة مسؤولة عن ذلك في كل بلد ، وأن يكون هناك تنسيق شامل ومنهجية موحدة .

القافلة : هل هناك صعوبات ، في نظركم ، تعترض التعريب ؟

□ **بوطالب** : نعم هناك .. نحن في حاجة لأن نبسّط اللغة العربية . لقد ظلت العربية اللغة الوحيدة في العالم التي يجب أن نفهمها قبل أن نقرأها ، فلابد من الشكل . ما لم تشكّل اللغة العربية ستبقى قاصرة عن أداء رسالتها . فلابد أن تضع الضمة والفتحة لتعرف الفاعل من المفعول . وطبعا لا يقاس هذا على الذين شبوا من المهد عليها ، فهؤلاء يتعلمونها بالسليقة . خذ واحدا غير عربي مثلا وستجد الصعوبة . كيف يمكن أن ندخل اللغة العربية إلى الأقطار الإسلامية ، وكيف يستطيع أن يقرأ المرء فيها لغة غير مشكولة . يجب أن يصل الطفل إلى مستوى الفهم ليقرأ اللغة العربية . أما اللغات الأخرى فنقرأها ونفهمها معاً . ولكي يصبح التعريب ميسورا يجب أن نبسّط اللغة العربية بما يجعلها ميسورة للجميع ، يقرأونها دون صعوبة ودون التباس في فهم المعنى .

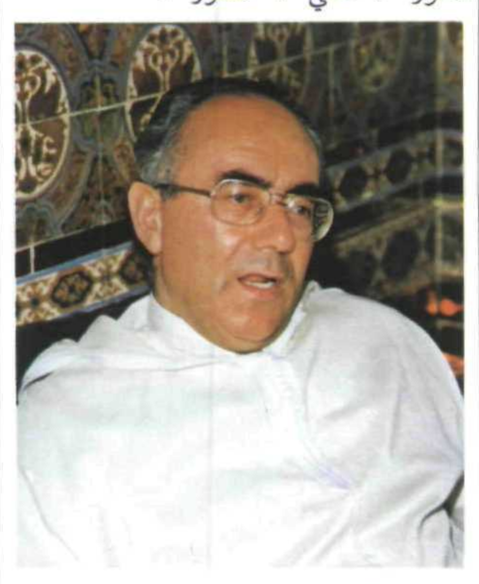
أما لقاؤنا الأخير ، في المغرب ، فكان مع الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله — مدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، وقد بدأ حديثه عن تأسيس المكتب وغاياته وبعض نشاطاته وأعماله ومنجزاته فقال :

□ أسس مكتب تنسيق التعريب عام ١٩٦١ م بعد انعقاد مؤتمر التعريب الأول بدعوة من جلالة المغفور له الملك محمد الخامس ، الذي لاحظ ، بعد زيارته للمشرق العربي ، الهوة السحيقة التي تفصل بين شطري الوطن العربي . فالمشرق العربي يستمد ثقافته ، أو العناصر الثقافية الأساسية من الانجلوسكسون ، في حين أن المغرب العربي فرضت عليه اللغة الفرنسية فرضا ، بحيث أصبحنا نتكلم بالعربية ونفكر ، في أغلب الأحيان ، باللغة الفرنسية .

لأن الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي هو استعمار مزدوج : توطيني واستغلالي . في حين أن الاستعمار الانجلوسكسوني ، في المشرق العربي ، وحتى الفرنسي في سوريا ، هو استعمار استغلالي فقط . فقد تركت انجلترا الحرية الكاملة للشرق العربي أن يجول ضمن قفص مقفل من ذهب ، يعرب كيف يشاء ، ولم تفرض عليه لغتها . أما في المغرب فقد منينا بالاستعمار المزدوج فلم يترك للغة العربية غير حصة واحدة كل يوم . وكنا نقرأ كل شيء بالفرنسية حتى أصبحنا نتقن الفرنسية أكثر من الفرنسيين أنفسهم . لكن أصالتنا العربية بقيت راسخة حيث انها مصدر الثقافات .

وانطلاقا من هذا بدأنا العمل في اطار واقعي ، فاصطدمنا بسلبيات في أول الأمر ، وكانت بعض بلدان المشرق العربي تقول انه إذا كان هناك مشكل في التعريب فهو في المغرب العربي ، فأنشأنا مكتب تنسيق التعريب ، والغاية هي استفادة المغرب العربي من تجارب المشرق العربي . ففي المشرق تجارب واصالة ، ونحن نريد أن نستفيد من هذه الاصالة والتجارب ، ولكن استفادة الناقد . فنحن نستعمل اللغة الفرنسية في حياتنا اليومية ، وهذا يعني أننا نستعمل المصطلحات الأجنبية في الإدارة والمرافق المتخصصة . فاذا كان لدى المشرق مصطلحات عربية موحدة أصيلة فنحن من يومنا نستبدلها بالمصطلحات الأجنبية ، وإذا لم يكن هناك شيء أو أن هناك مصطلحات مختلفة في القطر الواحد أو بين قطر وقطر ، فهذه فوضى لا نقبلها . ولهذا نريد أن ننطلق لتأمين ما منينا بفقده ، من اصالة عربية ، من منطلق علمي رصين ، حتى يكون عملنا مبنيا على أساس .

ومن هنا بدأنا .. ففي عام ١٩٦٦ م عندما أصدرنا الجزء السادس من مجلة « لسان العرب » ، وضعنا فيه استجوابا يقول : هل اللغة العربية صالحة للتعليم العالي ؟ ووصلتنا أجوبة من كبار المتخصصين في العالم العربي الذين قالوا رأيهم بصراحة وأبانوا الأسباب الحقيقية التي جعلت ، أحيانا ، اللغة العربية ربما غير قادرة مؤقتا في بعض المجالات . وقد واجهنا هذه الحقائق بصورة علمية وموضوعية لنبحث عن الحلول ، لكيلا نستمر في عاطفتنا . فنحن نؤمن بأن لغتنا رصينة وقادرة ، وكانت لغة العلم والحضارة حتى أن « فرنسيس بيكون » ، في القرن الثالث عشر قال : ان المعرفة عربية ومن أراد أن يتعرف على المعرفة فليقرأ العربية . وقال آخر : ان العلم عندما انطلق في العصور الوسطى انطلق من اللغة العربية . ولذلك فقدرة اللغة العربية أمر مسلم به ، وعلى ذلك حاولنا الإتيان بحقائق علمية في معاجم أصدرتها شخصيا حول الأصول العربية ، في الانجليزية والفرنسية ، في التقنيات . هناك مئات المصطلحات التقنية اقتبسها الغرب من الشرق العربي وحرفها ، ثم أخذناها منه فحرفناها تحريفا ثانيا دون أن نشعر بأن أصلها عربي . خذ مثلا كلمة « مستير » ، هم يقولون أن أصلها لاتيني أو أنه مجهول ومشكوك فيه . مع أن معناها ملغوز ، مخفي ، مستور .



الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

وقد سئلت في الكويت ، ذات مرة ، عن المنهج الذي اتبعه ، فقلت لهم ان المنهج بسيط وهو انني عربي ونطقي عربي ، حتى انني انطق الانجليزية بطريقة عربية . وقد دعاني معالي الأستاذ محمد المزالي ، عندما كان وزيرا للتربية ، وطلب مني أن أساعده على اقناع الأطر ، ولا أقول الكوادر لأن « الكادر » عندنا في المغرب معناها الحمار ، ولسنا في حاجة إلى كوادر مادامت كلمة « الأطر » كلمة رصينة ، جميلة وسلسة . فطلبت منه استدعاء كل الأطر وألقيت محاضرة وطلبت منهم أن ينقدوا كل شبهة ، فلم يأت أحد بشيء .. وهذه هي طريقة الاقناع ، وهي متوازية مع حركة علمية دقيقة .

لقد أصدرنا سلسلة من المعاجم ، في العلوم ، وحدنا مصطلحاتها عام ١٩٧٣ م في الجزائر . كل العلوم أصبحت الآن موحدة .. كيمياء ، فيزياء ، رياضيات ، حيوان ، نبات ، جيولوجيا . وبعد ثلاث سنوات عقدنا مؤتمرا ثالثا للتعريب في ليبيا ، وحدنا فيه كل المصطلحات الانسانية . وفي العام الماضي وحدنا المصطلحات في التقنيات والمهنيات ، واتجهنا الآن نحو توحيد المصطلحات في التعليم العالي . وكان لنا منهج ، وهو اعتبار واقع الكتاب المدرسي أو المعاجم . ولكن عندما دخلنا الحرم الجامعي أدخلنا عنصرا جديدا بالاضافة إلى عمل المجامع واتحادات التخصصين : كاتحاد الفيزيائيين والرياضيين والنباتيين .. إلخ . وقد شكلنا ، في خمسين جامعة في العالم العربي ، دوائر الفيزياء والرياضيات والكيمياء .. إلخ ، وعهدنا إلى كل عضو أن يوافينا بمجموع الكلمات التي يستعملها بأية لغة ، كي نجمع كل ذلك ونضعه في بوتقة واحدة ثم نرجع الحصيلة إلى كل جامعة على أساس أن تكون تلك ورقة عمل نقدمها ، بعد التنقيح والتعديل ، إلى ندوة جامعة متخصصة في كل مادة . وقد أعددنا الآن حوالي ٣٠ مادة للتعليم الجامعي ، من الفيزياء العامة ، إلى الفيزياء النووية ، إلى الهندسة والعلوم التطبيقية ، إلى الرياضيات ، والرياضة البدنية ، وذلك في ٣٠ معجما . وقد أعددناها للمؤتمر الذي سينعقد في الأردن في أوائل عام ١٩٨٤ م وسيكون هذا المؤتمر هو الخامس . ثم يليه المؤتمر السادس عام ١٩٨٧ ، ثم يليه المؤتمر ما قبل الأخير في عام ١٩٩٠ م لننهي مشكلة التعريب في أوائل التسعينات بحيث لا يبقى بعد ذلك إلا استيفاء المفاهيم الجديدة . فاحصاءات اليونسكو تدل على أنه يظهر ، يوميا ، ما يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ كلمة تعبر عن مفاهيم جديدة ، ليس بالنسبة للعربية وانما لجميع اللغات . وعندها سنقضي على الفوضى في المصطلحات وتعددها بالنسبة للتعبير عن مفهوم واحد ، مما كان يؤدي إلى اللبس والغموض في الحقلين التكنولوجي والعامي ، ويثير مشاكل والتباسات في الحقل السياسي أيضاً . فاللغة العربية أصبحت اللغة السادسة في المحافل الدولية .

اذن نحن نواجه المشكل مواجهة ايجابية واقعية ، ونعلم أن دولاب الحياة يدور بسرعة ، وأن المكسب الذي حققته جامعة الدول العربية في المجال الدولي ، بجعل اللغة العربية اللغة السادسة ، انما هو مكسب سياسي ويجب أن تعززه علميا وتقنيا . وقد بدأنا الآن نملأ الخانات المخصصة للغة العربية في الأشرطة المغنطية في

بنوك المصطلحات الدولية ، التي أرأس بعضها وأنوب عن رئيسها في البعض الآخر ، وأحضر المؤتمرات الخاصة بها نيابة عن العالم العربي ، وأتابع عن كثب خزن هذه المصطلحات . وقد بدأنا نشعر الآن أن بعض الهيئات في أمريكا وأوروبا أخذت تكاتب العالم العربي بنفس المصطلح الذي يستعمله العالم العربي نفسه ، الذي لم يصل إلى تطبيقه إلا لماما . وبدأت تصلنا معلومات بأن بعض وزارات التربية في العالم العربي أخذت تستعمل المصطلحات الموحدة في كل المطبوعات المدرسية الجديدة . وقد بدأت إدارة العلوم ، في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الكسو» التي ينتمي إليها مكتب التنسيق ، تصدر كتبا في الكيمياء والفيزياء والرياضيات لسنوات التعليم العام . فضربنا بذلك عصفورين بحجر : استعملنا المصطلحات الموحدة ووحدنا المناهج العلمية . ولم يبق هنالك عذر لأي قطر سواء في المشرق أو المغرب مما كان يعرف بفوضى المصطلحات والمناهج ، فالكتب الآن جاهزة فما عليهم إلا تكوين الأطر وهذا أمر سهل .

لقد عملنا عشر سنوات بصمت حتى أوجدنا الهيكل الموحد ، ثم بدأنا نصدره ونطلب من النقاد في العالم العربي أن يثيروا أي مشكلة لنستكمل هذا الجهاز بتأكيد ما يجب أن يؤدى . والواقع أن اللغة العربية أصيلة ، وكانت لغة العلم والحضارة في الوقت الذي كان فيه الغربيون يتبجحون بأنهم ليسوا كالعرب يهتمون بالفيزياء والكيمياء والرياضيات ، ويفتخرون بأنهم فلاسفة وشعراء ، ولكن الآن انقلب الوضع . ومن حسن الحظ أننا نحن الذين انقلبنا بينما بقيت لغتنا هي هي .. مستعدة لمواجهة تيار الحياة . ولذا فنحن في الواقع لا نجد صعوبة كبيرة في مواجهة هذا التيار إلا الصعوبات الناجمة عن سلبيات بعض الدول العربية .

• القافلة : مما تقدم يبدو أن هناك فكرة لتوحيد المناهج ، فهل تعتقدون أن الأقطار العربية ستطبق هذا المنهج الموحد اختياريا أم سيكون ذلك اجباريا ؟

□ **بنعبد الله** : ليست هذه النقطة الوحيدة ، ولكنها احدى النقاط التي لا يمكن أن يكون فيها خلاف بين الدول العربية لأنها لا علاقة لها بالسياسة .

• القافلة : في ندواتنا السابقة اشتكى بعض المشتركين من ضعف التنسيق بين الجامعات والمعاهد العلمية في البلاد العربية ، وهذا كما ترون ضياع للجهد والوقت ، فما هو دور مكتب التنسيق حاليا في هذا الأمر ؟

□ **بنعبد الله** : الحقيقة أننا نواجه هذا الوضع بمرارة . فبعض من هم في موقع المسؤولية في حقل التعريب لا يعرفون شيئا عنه ، ودائما يبدأون من الصفر وكأن الدنيا بدأت بقيامهم بهذا العمل . فيضيعون علينا خمسين سنة من عمل المجامع والجامعات والهيئات اللسانية التي نحن ، في مكتب تنسيق التعريب ، احصيناها وجربناها ودرسناها وانطلقنا منها حتى لا نزعم أننا ننطلق من الصفر . ولقد وصلنا إلى مرحلة دقيقة انطلاقا من اتحاد واقعي بين المجامع والجامعات والهيئات اللسانية في العالم العربي والوزارات ومؤتمر التعريب الذي قال فيه الدكتور ابراهيم مدكور ، رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة ، انه الجهة التشريعية في العالم العربي . لذا فقد أصبح من مضيعة الوقت



الاستماع إلى هذا وذاك ممن يثيرون مشاكل قد حلّت ، منذ زمن ، من قبل الهيئات المتخصصة في اللغة في العالم العربي . إنها مشاكل في أذهانهم التي لم تتفتح بعد على نشاط المجامع والجامعات والمؤتمرات العربية للتربية والثقافة والعلوم ووكالاتها المتنوعة . ولهذا أرى أن يفصل بين الجانب الواقعي المنطلق من دراسة علمية من هيئات مسؤولة في جامعة الدول العربية ، وبين تخيلات أو انتقادات أو آراء خاصة نابعة من جهل ما هو واقعي .

• القافلة : هناك من الجامعات من التزمت بالتعريب وسارت فيه شوطا بعيدا ، كجامعة دمشق ، وقد علق أحد الدارسين وذوي الاهتمام على ذلك بأنها قد عزلت نفسها وعلماءها عن ركب الحضارة الدولي الكبير . وهناك من يقول عكس ذلك ، وأن عدم التعريب يعزل اللغة العربية عن العلم الحديث وعن أبنائها العلماء ويحرم الكثيرين من طالبي العلم والمعرفة من متابعة التطور العلمي الحديث بلغتهم ، فما هو تعليقكم على هذين الرأيين ؟

□ **بنعبد الله** : الواقع أن كثيرين من الباحثين يتلاعبون بألفاظهم . فسوريا أول ما انطلقت ، عندما بدأت التعريب عام ١٩١٩ ، انطلقت من واقع علمي حضاري اجتماعي اقتصادي قومي . فصدر قرار سياسي بالتعريب فانكب الأجانب من المحامين والأساتذة وغيرهم على دراسة اللغة العربية ، وبدأوا يرافعون بالعربية ويلقون محاضراتهم بها كذلك . فمعظم الأساتذة كانوا ، في ذلك الحين ، متخرجين من فرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية . فكانت مادة مراجعهم باللغة الأجنبية ، فلما جاء الفوج الثاني والثالث ضعفت اللغة الفرنسية عند الأساتذة فأصبح المسؤولون في سوريا يشعرون بنقص في المراجع ويحاولون تعبئة هذا الفراغ بنشر ترجمات للكتب العلمية ، ولكن هذا لا يكفي ، فعندما ينشر العالم العربي عشرة كتب يصدر ألف كتاب ، هذا بالاضافة إلى الفراغ الماضي الذي بلغ اربعمائة عام — أي منذ تتريك العالم العربي ، ومنذ الغزو الأيبيري للمغرب العربي .

وقد شعرت سوريا بهذا فأخذت تدعم

دراسة اللغات الأجنبية ، لأن ذلك شيء ضروري ، لا بالنسبة للعربي فقط ، بل بالنسبة للفرنسي نفسه ، لأن من يعرف اللغة الفرنسية فقط ، ولا أقول الأسبانية لأن فرنسا دولة كبرى ، ان من يعرف الفرنسية فقط لا يمكنه أن يواجه تيار الحياة . فعندما كنت اتقن الفرنسية فقط كنت أجول في قفص مقفل لا اتصل بالحياة ، فاضطررت إلى دراسة الانجليزية . وحتى معرفة الفرنسية واتقان معرفة بعض الكتب بها لا يمكن إلا انطلاقا من فكر علمي عالمي من خلال لغة أخرى وهي الانجليزية . وهذا شيء بدأ يشعر به العلماء الفرنسيون ولذلك لا نكاد نجد عالما فرنسيا يكتفي بلغته ، بل ويلم بالانجليزية .

وأذكر أننا في عام ١٩٦٣ م ، عندما أصدرنا أول مجموعة من المعاجم العلمية في الكيمياء والفيزياء والرياضيات ، وصلنا من سوريا مجموعاتان متناقضتان في المصطلحات . مجموعة من الجامعة السورية ومجموعة من المجلس الأعلى للعلوم ، وكان وزير التربية والتعليم العالي آنذاك هو الأخ مصطفى حداد ، فأرجعت المعجمين إليه راجيا أن يشكل لجنة مشتركة من أجل اختيار الأصلح من هذه المصطلحات لأن الأمر خطير ، والمصطلح نابع من دولة نعتبرها رائدة في التعريب . وقد استجاب لطلبنا وأرسل إلينا بعد ذلك معجما موحدا .

• القافلة : هل تعتقدون أنه من الضروري ايجاد قرار سياسي للتعريب ، يلزم الجامعات في كل قطر بأن تبدأ بالتعريب وتتمه في فترة محددة بحيث تصبح الدراسة جميعها ، في التعليم العالي ، بالعربية ؟

□ **بنعبد الله** : الأمر يختلف بين المغرب العربي والمشرق العربي . المشرق العربي قد عرب المرحلة الثانوية منذ زمن ، أما نحن في المغرب فقد عربنا جزءا كبيرا من المرحلة الثانوية وخاصة الانسانيات كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم النفس إلى آخره ، وحتى في التعليم العالي قمنا بهذا ولم يبق إلا العلوم . ولذا فان المجال المشترك ، مع المشرق ، هو عدم تعريب العلوم في التعليم العالي . وربما كان هناك بعض العذر لبعض الدول العربية إذا لم تعرب التعليم العالي ، أما في الثانوي فلم يعد هنالك عذر لأحد لأن المصطلحات وحدت ، وهناك كتب في ذلك أصدرتها جامعة الدول العربية . أما من ناحية التعليم العالي فلم يبق أمامنا إلا عشر سنوات لاستكمال ذلك . ونحن نستجيب لكل المطالب التي تهم المجالات المستعجلة التي يجب الشروع في تعريبها من الآن ، وقد عقدنا اتفاقا مع جامعة الملك عبد العزيز ، في جدة ، واليونسكو من أجل تعريب الهندسة والعلوم التطبيقية مع اتحادات المنظمة المتخصصة . فنحن نستجيب لكل من أراد أن يصبغ الأولوية على مادة ما لتعريبها ، وعليه فسيلتقي العالم العربي كله في آخر المطاف في تعريب شامل يجب أن يتحقق عندما نوحد كل المصطلحات في التعليم العالي . ولم يبق هنالك إلا وضع الكتب ، وهو عمل سهل .

• القافلة : ما رأيكم في أن تقوم كل جامعة من الجامعات العربية ، باشراف مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ومجامع اللغة العربية ، بتعريب مادة علمية ، يتفق على مواضيعها مقدما من قبل سائر الجامعات وتلتزم بتدريسها مستقبلا . فيمكن خلال سنوات معدودة تعريب الكثير من العلوم دون أن يكون هناك تكرار في تعريب المادة الواحدة ، كالاتفاق الذي عقدتموه مع جامعة الملك عبد العزيز المذكور آنفا ؟

□ **بنعبد الله** : هناك نقص في العالم العربي من ناحية ، وحشو من ناحية أخرى . فلو اقتصرنا على ما بدأته سوريا في هذا المجال واتخذنا معاجمها ومصطلحاتها كمنطلق أو ورقة عمل لحللنا كل المشاكل دفعة واحدة ، ولما احتاج المغرب ولا العراق ولا الأردن .. الخ لوضع معاجم أو كتب ربما بمصطلحات أخرى استلزمت منه جهدا كبيرا . الواقع أن عدم التنسيق في العالم العربي هو الذي أوصلنا إلى هذا ، ولكن لا يمكن أن نسير في هذا الخط لأن عندنا تخطيط رصين ، وهذا التخطيط لا تزيد مدته على عشر سنوات . فنحن نترك لكل جامعة حريتها لأن تحل مشاكلها كما تشاء وتتخذ عملها كورقة عمل ونضيفها إلى ورقات عمل كل جامعة لنستخلص منها حصيلة موحدة تشكل ورقة مشتركة بين الجامعات كلها . وذلك يجري من خلال اتصالاتنا ، لا مع الجامعات بل مع اتحاد الجامعات العربية حيث لنا به صلة وثيقة . وكل ندواتنا نعقدها باتفاق مع اتحاد الجامعات ونطلب من اتحاد الجامعات ما يراه من أولويات من أجل البدء بهذا المعجم أو ذاك ، بهذه المادة أو تلك . وفي نطاق السنوات العشر الباقية ، حتى ولو تركنا لكل جامعة حريتها لأن تعرب ما شاءت ، فنحن نستفيد من جهود الجامعات كلها من أجل انجاز ما أشرنا إليه في نطاق السنوات العشر القادمة .

لقد انتظرت اللغة العربية عدة قرون ، وفي وسعها أن تنتظر عقدا بل عقدين من السنين ، لتحل مشكلة التعريب حلا نهائيا ان شاء الله .

• القافلة : هل هذا توقع أم أمل ؟

□ **بنعبد الله** : أنا رجل واقعي عملي ، لا انطلاقا من الثقافة الفرنسية ولكن انطلاقا من المنهج الإسلامي والعربي . أنا لست متشائما ولكنني واقعي ، واقعي إلى حد انني لا اعتمد على الدول العربية ، لا اعتمد إلا على ما أنجزه ، بحيث عندما أطلب إلى الدول العربية أن تقوم بعمل ، أقوم به كذلك في الوقت نفسه ، فاذا خانها الوقت أو السياسة ، أجد انني قد قمت بالعمل .

والنقطة الأولى التي أود أن أركز عليها هو عدم اضاعة الوقت فالآن تدور مماحكات حول لفظ ما ، وممكن ان نتفق عليه ، غير أن المجامع مازالت تتماحك حول هذا اللفظ أو ذاك ، وهذا بدأ ينصب على الجامعات أيضاً . والذي نريد أن نكرس جهودنا عليه هو أن نوحّد جهودنا في اطار الجامعة العربية ومؤتمرات التعريب ، التي تمثل فيها كل المجامع ، من أجل أن نحل هذا المشكل بكيفية نهائية . لقد حل سلفنا الصالح هذا المشكل بطريقة واقعية لا عاطفة فيها ، وليس فيها أثر للتعلق بالشكليات . فسواء قلنا تلفزيون أو تلفاز فيجب أن نتفق على شيء . فلماذا دولة متشبثة بكلمة هاتف وأخرى متشبثة بكلمة تلفون ؟ سيأتي زمان يفرض هذا أو ذاك على العالم العربي . ولذلك نحن نراعي هذه الحساسية ولا نضغط على العالم العربي ونترك للزمن أثره في كل هذا .

أما النقطة الثانية فتأتي بعد أن نحدد الالتزام اللفظي . فنحن نأخذ لفظة من الكويت ، ولفظة من العراق ، ولفظة من سوريا ، حتى يشعر كل قطر عربي ، وكل جامعة عربية ، بأنها أسهمت في بناء الكيان العربي الموحد ، والله نسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل □

طوفان المختصرات

بقلم: وديع فلسطين / القاهرة

وقع في يدي كتاب أصدرته الأمم المتحدة يتضمن أسماء المؤسسات والمنظمات واللجان والهيئات المختلفة التابعة لها من دولية أو اقليمية أو حكومية أو حكومية دولية أو غير حكومية موزعة في أنحاء العالم كله ، ويبلغ عددها الاجمالي ٨٢٥ رتبت أسماؤها باللغات العاملة الست الرسمية في الأمم المتحدة وهي الانكليزيـة والافرنسيـة والروسية والاسبانيـة والصينيـة والعربية .

وأول ما يسترعي الانتباه في هذه القوائم المتراصة من أسماء الهيئات ، هو أن كل هيئة قد نجحت في اختصار اسمها إلى حروف معدودة ، بحيث يغني هذا الاسم الصغير المختصر عن الاسم الطويل الممتد . وهذه المختصرات واردة في اللغات جميعا ما عدا اللغة العربية التي لم توفق حتى الآن إلى الأخذ بهذا النظام ، وان كانت قد تبنت بعض المختصرات الفرنجية مثل « اليونسكو » اشارة إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، ومثل « الفاو » اشارة إلى منظمة الأغذية والزراعة ، ومثل « الأونكتاد » اشارة إلى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية ، ومثل « اليونيرو » اشارة إلى منظمة الأمم اتحدة للتنمية والصناعة ، ومثل « المولبول » اشارة إلى المراكز المتعددة الجنسيات للبرمجة والتنفيذ في افريقية ، وهلم جرا .

والغريب أنه عندما أنشأت الجامعة العربية منظمة التربية والثقافة والعلوم ، اختارت لها اسما مختصرا هو « الكسو » وهو الاختصار الفرنجي لهذه المنظمة العربية .

وقد شاع استخدام هذه المختصرات في اللغات الأجنبية شيوعا واسعا في الفترة الأخيرة فأصبحت التعبيرات السياسية والاقتصادية والعلمية والرياضية وما إليها تختصر إلى حروف للدلالة مثلا على الناتج المحلي الاجمالي (G. D. P.) أو معمل فرز الغاز عن الزيت (G.O.S.P.) أو التردد العالي (H.F.) أو القدرة الحصانية (H.P.) أو فوق البنفسجي (U.V.) وهلم جرا .

وأصبحت المختصرات تطلق على المصالح الحكومية والشركات والمؤسسات . فمصلحة الضرائب في الولايات المتحدة يشار إليها بأحرف (I. R. S.) ، ووزارة الخارجية في بريطانيا يشار إليها بحرفي (F.O.) ، وشركة الاذاعة الأمريكية يطلق عليها اسم (R.C.A.) وجميع محطات الاذاعة والتلفزيون ووكالات الأنباء تحمل هذه الحروف مثل (B. B. C.) و (N. B. C.) و (A. B. C.) و (U. P. I.) و (A. P.) وهلم جرا .

وامتد استخدام هذه الحروف المختصرة إلى أسماء رجال السياسة والمشتغلين بالفن ، مثل (F.D.R.) اشارة إلى الرئيس الأمريكي الراحل فرانكلن ديلانو روزفلت ، ومثل (J.F.K.) اشارة إلى الرئيس الأمريكي الراحل جون كندي ، و (L.P.J.) اشارة إلى الرئيس الراحل لندن جونسن ، وهلم جرا .

وقد أدى الانتشار الواسع في استخدام هذه المختصرات إلى قصور الفهم عند القراء ، إلا إذا اتفق لهم علم سابق بها . والمعاجم في كثير من الأحيان تقعد عن المتابعة الحثيثة لهذه المختصرات ، ومنها مختصرات خاصة بألقاب الوجاهة مثل (K.B.E.) وهو مختصر لعبارة فارس الامبراطورية البريطانية التي تخول لحاملها حق استخدام لقب « سير » ، أو مختصرات خاصة بالرتب العلمية مثل (B.A.) لبكالوريوس الآداب ، و (L.L.D.) للدكتوراه الفخرية في القانون ، و (F.R.C.S.) لزمالة كلية الجراحين البريطانية وما إلى ذلك . حتى لقد أصبحت هذه المختصرات لو جمعت ورتبت وفقا للأبجدية — تختص وحدها بمعجم ضخم تبلغ صفحاته المئات وربما الآلاف .

ولكن اللغة العربية مازالت تمتنع على هذه المختصرات إلا في علم الكيمياء الذي يعتمد اعتمادا أساسيا على هذه المختصرات في معادلاته ، حيث يرمز حرف الكاف إلى الكربون وحرفا « يد » إلى الايدروجين ، وحرف الألف إلى الأكسجين ، وهلم جرا . كما صار من المألوف استخدام هذه المختصرات في المقاييس والموازين فيقال « سم » بمعنى سنتيمتر ، و « كلغ » بمعنى كيلوغرام ، و « ق » بمعنى قدم .

ومن بضع سنين ، شرع الصحافيون يستخدمون حرف « د »

واللغة العربية

للاشارة إلى من كان دكتورا ، وحرف « أ » للاشارة إلى من كان استاذا . فان كان استاذا ودكتورا أشير إليه بالحرفين معا « أ . د . » وانتقلت العدوى إلى مهن أخرى ، فصار المهندسون يشيرون إلى أنفسهم بحرف « م » ، وهو حرف يتنازعه المحامون والمحاسبون والمستشارون والميكانيكيون .

أما في أسماء الأعلام ، فقليلون هم الذين يختصرونها على النحو المتبع في الأسماء الفرنجية . وقد لاحظت أن العلامة الأستاذ الدكتور ابراهيم بيومي مدكور رئيس مجمع القاهرة للغة العربية لا يوقع اسمه إلا على النسق الفرنجي وهو « أ . مدكور » ولعله يريد بذلك أن يستن سنة مجمعية لايجاريه فيها سواه داخل المجمع وخارجه .

وكان الشاعر الذي مات في شرخ شبابه محمد عبد المعطي الهمشري يكتب اسمه « م . ع . الهمشري » ، فكان من المبكرين في الأخذ بمذهب اختصار الأسماء .

على أن البعض قد رأى مع الوقت اختصار اسمه لا بالحروف ولكن باستبعاد اسم الأب اكتفاء باسم الأسرة ، وبعدما كنا نعرف الأستاذ الدكتور بدوي أحمد طبانة بهذا الاسم الثلاثي ، صار اسمه اليوم بدوي طبانة ، وبعدما كنا نعرف الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل بهذا الاسم الطويل ، بتنا نعرف عميد كلية دار العلوم باسم الدكتور أحمد هيكل . وبعدما كان نجيب محفوظ عبد العزيز يزين كتبه الأولى بهذا الاسم الطويل ، آثر اختصار اسمه إلى نجيب محفوظ حتى ولو اختلط الأمر بينه وبين سميه طبيب الولادة الشهير نجيب محفوظ باشا ، قبل أن تطغى شهرة الكاتب على الطبيب المولّد .

ولكن المختصرات كما نعهدها هي لغات الفرنجة مازالت تجافي الذوق العربي وتصطدم مع السليقة العربية ، مهما تكن جدواها من حيث السهولة في الطباعة والصغر في الحيز والمواتاة في الحفظ . ويضاعف من صعوبة استخدام هذه المختصرات أن اللغة العربية على خلاف لغات الفرنجة — تخلو من الحروف الكبيرة (ويمكن تسميتها بحروف التاج) التي تكتب بها أسماء الأعلام وتبتدئ بها الجمل والفقرات . وقد حاول خبراء الخط العربي في زمن ما تدارك هذا النقص في الحروف العربية ، فابتدعوا حروفا أسموها فعلا بحروف التاج لتمييز أسماء الأعلام . فاذا كان اسم العلم ابراهيم كتب موضع علامة التاج (^) فوق حرف الألف فيصبح رسمه كالآتي إبراهيم . وإن كان اسمه عليا ، كتب على هذا النحو علي وهلم جرا . ولكن هذه المحاولة انتهت ، لأنها تضيف عبئا جديدا على عامل الطباعة والمطابع ، بسبب ضخامة صندوق الحروف في المطابع العربية لتعدد أشكال الحرف الواحد حسب موقعه من الكلمة .

ولابد لنا — ولو في الوقت الحالي — من تقبل اللغة العربية كما هي ، دون هذه المختصرات التي لا يستميلها المذاق العربي . فاذا كان يشار إلى الأمم المتحدة باللغة الانجليزية بالحرفين (U.N.) فيدرك معناهما القارئ في التو واللحظة ، فلا نخال القارئ يفطن إلى معنى الحرفين (أ . م .) إذا ما أريد التعبير بهما عن الأمم المتحدة . فالقارئ العربي قد يدرك على الفور معنى « ص . ب . » إذا ما قرأ هذين الحرفين على رسالة ، وقد يفهم معنى « س . ت . » أي سجل تجاري — إذا ما قرأ هذين الحرفين في أوراق متجر أو شركة . ولكنه قطعا لن يفهم المقصود بحرفي « ف . م . » إذا اختصرنا بهما عبارة « في المئة » فان عيب على اللغة العربية طولها — وهي اللغة المعروفة بايجازها حتى لتقوم اللفظة الواحدة مقام عبارة كاملة في اللغات الفرنجية مثل قولك « أفطرت » التي تقابلها في اللغة الانجليزية جملة من ثلاث كلمات أو أربع — فلن يعاب على اللغة العربية وضوحها الذي تمتنع معه أسباب الخلط بين المختصرات ، كما يمتنع معه قصر الفهم لكثير من هذه المختصرات . ولابد ، حرصا على هذا الوضوح ، من الابقاء على الأسماء والمسميات بنصها الكامل في اللغة العربية . ولعل اللغة في تطورها الحتمي تتسع في المستقبل لصيغ مختصرة سائغة في الأذن ، تستقيم مع تراكيب الضاد ، لتواجه هذه الظاهرة من المختصرات الفرنجية في جميع ميادين النشاط البشري □

رحلة في كتاب

المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها

تأليف : شريف يوسف

مراجعة وعرض : ابراهيم السمان / الأردن

كان فن العمارة العربي عند بداية الفتوح الإسلامية بسيطا .. ولم يكن له أي مكانة بارزة بين فنون العمارة الأخرى في العالم .. وذلك بحكم طبيعة الحياة التي كان يعيشها العربي متنقلا .. وهي حياة كانت بعيدة عن الاستقرار . ولكن الفتوحات الإسلامية التي تأسست على أثرها الامبراطورية الإسلامية جمعت حضارات مترامية الأطراف . وبعد أن تم الاستقرار في البلاد التي ارتفعت فوقها الرايات العربية بدأ الفن المعماري العربي بالظهور وصار للعمارة العربية شخصيتها المستقلة المميزة . ولقد تأثر العرب ، بطبيعة الحال ، بالفنون التي كانت سائدة في البلاد التي دخلوها ، ولكن الفن العربي ما لبث أن أثر تأثيرا واضحا في تلك الفنون القديمة فظهر للعالم فن جديد هو فن العمارة العربية والإسلامية .

ولقد بدأ الطراز العربي الإسلامي يظهر عندما أخذ المسلمون يجمعون شتى الطرز المعمارية القديمة ويطبعونها بطابع دينهم الجديد فكان للفن المعماري مكانة رفيعة عند حكام المسلمين وأمرائهم . وكان الفنانون على اختلاف جنسياتهم يظفرون بتقدير حكامهم ومكافآتهم على مواهبهم في تشييد المباني وزخرفتها فقد قال الخليفة المأمون وهو يخاطب موسى بن داوود المهندس « يا موسى إذا بنيت لي بناء فاجعله ما يعجز عن هدمه ليبقى طلله ورسمه » .

وقال يحيى البرمكي لابنيه الفضل وجعفر : « لا شيء أبقى ذكرا من البناء ، فاتخذوا منه ما يبقى لكم ذكرا » . وقال أحد الشعراء :

هم الشعوب إذا أرادوا ذكرهم
من بعدهم فبألسن البنيـــــان
ان البنـــاء إذا تعاظم شـأنه
أضحى يدل على عظيم الشـــان

يقول الأستاذ شريف يوسف ، في كتابه « المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها » نشأ فن العمارة الإسلامية في المساجد والجوامع أولا ، وفيها ولد ، وفي رحابها نما وترعرع . وانتقل العرب بعد ذلك من القناعة

بالضروري اللازم إلى الطموح في اقامة الأبنية الضخمة انتقالا سريعا ، فلم يمض على وفاة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عشرون عاما حتى أعيد بناء مسجده بالمدينة المنورة باقامة جدران ودعائم من الحجر له ، وبعد سنين قليلة أدخلت المقصورة في عمارة المسجد ثم ظهرت المآذن والمحاريب ، كما أدخلت زيادات ثانوية على البناء كالأروقة التي تحيط بصحن المسجد ، كما ظهرت القباب في أفق البلاد الإسلامية .

وبعد أن يستعرض المؤلف الفترات الكبرى لتطور فن العمارة العربية يأتي إلى الحديث عن مدارس الفن المعماري الإسلامي التي قسمها العلماء إلى عدة مدارس منها المدرسة العربية والمدرسة المغربية الاندلسية والمدرسة العباسية والمدرسة العثمانية أو التركية والمدرسة الهندية والمدرسة المغولية . مع العلم بأن هذا التقسيم لا يعني ، بالضرورة ، وجود حدود حقيقية جامدة بين مدرسة وأخرى.

ان أول مسجد بناه الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم ، ووضع حجر أساسه بيده الكريمة في المدينة المنورة كان في بداية نزوله فيها ، ويعتبر هذا المسجد النموذج الأول لسائر المساجد الأخرى . وعندما استخلف أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، لم يحدث في المسجد شيئا ، وفي خلافة عمر ، رضي الله عنه ، وسع المسجد لما ضاق بالمصلين وأصبح له ستة أبواب بعد أن كانت ثلاثة . ثم جرى توسيع المسجد وتزيين جدرانه في العهدين الأموي والعباسي وفي زمن الناصر قلاوون ، كما تم تجديد بناء المسجد بصورة كاملة بفضل الله ثم المملكة العربية السعودية ماعدا القبة الخضراء القائمة على الروضة الشريفة .

ثم ينتقل إلى الحديث عن المدن التي أسسها العرب في العراق وسوريا وفلسطين ثم القصور الأموية في بادية الشام كقصر المشتى وقصر المنية وقصر الطوبة وقصر هشام في أريحا وقصر الحير الشرقي وقصر الحير الغربي المتجاورين في الصحراء إلى الجهة الشمالية من تدمر وعلى بعد ٦٠ ميلا عنها . وبعد أن يصف المؤلف بعض القصور الأموية الجميلة وصفا مسهبا يصف كيف تم تخطيط مدينة واسط على ضفة دجلة المغربية زمن الخليفة عبد الملك بن مروان ثم تخطيط مدينة الفسطاط ومسجد عمرو بن العاص فيها ..

وأما الفترة الثانية لتطور فن العمارة العربية الإسلامية فبدأت بالمدرسة المغربية الأندلسية عندما وصل العرب في فتوحاتهم بلاد الأندلس وقسما من جنوب فرنسا .

وفي هذه الفترة يتحدث الكتاب عن بناء مسجد قرطبة ومدينة الزهراء التي أنشأها عبد الرحمن الناصر ثم قصر الكازار في أشبيلية وقصر الحمراء وغيرها من الآثار العربية التي مازالت ماثلة للعيـــان حتى اليوم . وقد أفرد المؤلف فصلا خاصا مفصلا عن فن العمارة الإسلامية في المغرب العربي ذكر فيه أعظم آثار الفن المعماري هناك في دولتي المرابطين والموحدين .

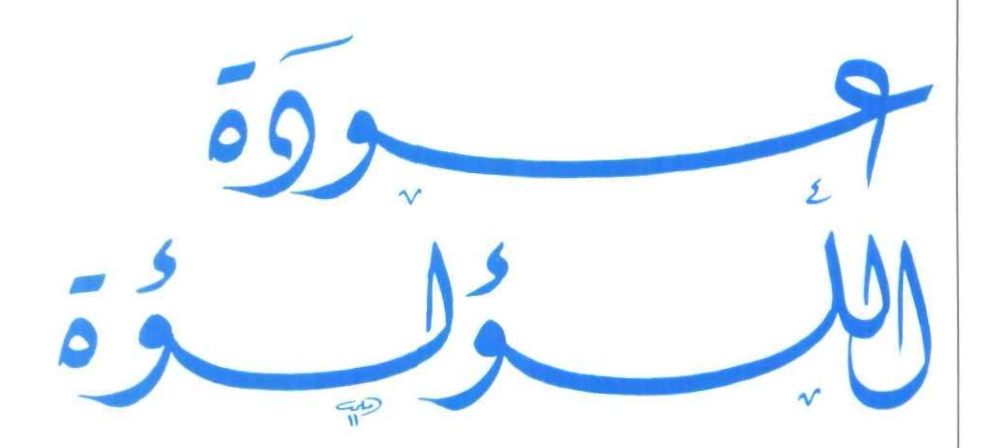
وأما المدرسة العباسية فقد بدأت عندما انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م وبدأ المنصور في تخطيط مدينته سنة ١٤٥هـ وجعلها مدورة وجعل عرض السور من أساسه ٥٠ ذراعا ومن أعلاه ٢٠ ذراعا ووضع بيده أول لبنة ثم قال : «باسم الله ، والحمد لله ، الأرض يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » ، وهكذا تأسست المدينة المدورة وسميت « دار السلام » .. ثم كان بعد ذلك قصر المنصور ومسجده وبغداد الشرقية وقصورها وقصر جعفر البرمكي « قصر الحسني » وقصر الفردوس الذي شيده المعتضد وجعل فيه حديقة للحيوانات وسور بغداد الشرقية وأبوابها .. وانشاء المدارس والمعاهد الخيرية في بغداد ومن أبرزها المدرسة المستنصرية التي تعتبر أول جامعة اسلامية كبرى في العالم الإسلامي بناها المستنصر بالله العباسي .

ويقف المؤلف وقفة طويلة مفصلة مع فن العمارة في مصر في العهد الطولوني حيث ازدهر بناء الجوامع وفي طليعتها الجامع الأزهر ، وكذلك في دولة المماليك ثم ننتقل إلى المدرسة العثمانية التركية وازدهار الاعمار والانشاء في زمن السلاجقة حيث ازدهرت عمارة المساجد والمدارس والمعاهد الثقافية السلجوقية ..

ويتطرق الكتاب إلى الحديث عن المدرسة المغولية وفن العمارة في العهد المغولي كما يتحدث عن المدرسة المعمارية الهندية المغولية على أثر دخول العرب الهند سنة ٩١ هـ .(٧٠٩ م) بقيادة الفاتح العربي الكبير محمد بن القاسم في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك .. كما يشير إلى المنشآت الإسلامية الهامة وفي طليعتها مسجد قوة الإسلام من أقدم المساجد في الهند وقد قام بتشييده قطب الدين آيبك بعد استيلائه على دلهي ..

هذه رحلة سريعة في كتاب غني بالمعلومات الدقيقة المفصلة التي تعتبر مدخلا لتاريخ العمارة العربية الإسلامية يقع في مائتي صفحة ، ويلقي على هذا الفن أضواء تنير للقارىء العربي جوانب كثيرة مشرقة من تاريخ هذا الفن الإسلامي الرفيع □

قصة قصيرة مستوحاة من بيئة الخليج



بقلم : منذر الشعار / الكويت

قال أبو راشد بصوته الذي فيه أمواج السنين ورياح الكفاح :

— سأروي لكم حكاية من حكايتنا نحن البحارة ، كما طلبتم ، وسوف تسرون ويطوف بقلوبكم الشجن ، وتأخذ النشوة نفوسكم ، لكن اعلموا أنكم — أيها الجيل الجديد — لستم مثلنا نحن جيل الصراع القديم في هذا الخليج ، عشنا أحداثنا أعمالا وأنتم تعيشونها سماعا ، مع أنكم محمودون إذ تلتذون بقديمكم كما تلتذون بجديديكم ، ومن لم يلتفت إلى الوراء لا يحسن الاندفاع إلى الأمام ..

سأحكي لكم حكاية واقعة ، تذكركم بالآية القرآنية التالية : **« ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ،** هل تفهمون أيها الشبان ؟

قال شاب في المجلس :

— هذه في سورة الأعراف ومعناها أن المتقين المؤمنين قد يعرض لهم ما يصرفهم عن ربهم تبارك وتعالى ، من أفعال الشيطان

فيتداركهم الله برحمته ، ويصرف عنهم كيد الشيطان ويرجعهم إليه راشدين مستغفرين متقين ، إذ يلهمهم أن يتذكروا ويبصروا .
قال الرجل الشيخ الذي يتصدر المجلس وإليه رغب القوم في حديث عن البحر في هذا الخليج .

— نعم ، المؤمن التقي يرجع الى الرشاد وان ابتعد يوما ، ويبصر وجه الحق وان غشيت عينيه من الشيطان غشاوات .. وما كان بحارة هذا الخليج إلا رجالا مؤمنين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ..

لقد رأيتني ذات يوم بحارا في سفينة غوص كويتية ، عليها نوخذا صالح يسوس بحارته بحزم واشفاق معا ، وقد خرجنا في أحد المواسم نجوب مياه هذا الخليج مع سفن الغوص ، والآمال تداعبنا وطلب الرزق يحدو سفينتنا قبل أن تحدوها الرياح ..

وكنا نصل إلى « الهير » فننزل ونغوص ونخرج بلا شيء ، فنرحل إلى غيره فلا نكون أسعد حظا ، ونتنقل في الهيرات ونجوب البحر ونغوص ونصعد ونتعاطى الأسباب ولا محار ولا رزق البتة ، والسفن الأخرى تمر بنا ملأى بمحار ولؤلؤ فنأسى ويأسى النوخذا ، ثم تحين الصلاة فنقوم نتوضأ ونصلي وراء النوخذا خاشعين لله ، ثم ندعو الله تعالى أن يرزقنا ولا يردنا إلى الكويت خائبين ، ثم نقوم إلى الغوص والتجواب في الهيرات فلا نكسب شيئا ويكسب غيرنا من أهل السفن ، كل شيء وصلاتهم أقل من صلاتنا ودعاؤهم أقل من دعائنا .

وفي ذات يوم ، وقد أخفقنا كما كنا نخفق ، وخاب سعينا وغوصنا كما كان يخيب ، طلع علينا النوخذا في وقت وضوء وأهبة للصلاة ، فزجرنا عن أن نصلي ، ونهانا عن العبادة نهيا شديدا ، فنظرنا كلنا إليه دهشين ، وهو يقول وقد عقلت الفجاءة ألسنتنا وأشخصت عيوننا .

كنا نصلي ونتوضأ ونقوم خاشعين فلا نصيب من الرزق شيئا ، فالآن لا أريد عبادة ولا صلاة ، ولنلتفت للرزق والعمل فقط ، هيا ... ولا أريد منكم متوضئا مصليا أبدا .

وقال قائلنا :

— ما هذا الكلام يا نوخذا ؟ أتنهى عبدا إذا صلى ؟ أتريد أن تكون ..

وقاطعنا بهياجه وصياحه :

— أنا رئيس السفينة وأنا أقول ما أريد فيمضي ، وليس لكم أن تردوا علي قولي ، هيا انتشروا في عملكم ودعوا هذه الصلاة جانبا فما وجدنا فيها إلا أن نخسر الرزق وغيرنا يربح .

وتبدى لنا النوخذا ، حقا وصدقا ، أن مسه طائف من الشيطان ، وكان في هياج وحال لا ينفع معها إلا أن نخسره نفسه أو نصبر عليه . ونظرنا بعضنا في بعض . وساقنا هو إلى الأعمال سوقا ، وهو يقول لا أريد منكم متوضئا مصليا أبدا .

وسكتنا ذاهلين ، وغاب النواخذا في عمله وانتشرنا نصلي فرادى خفية ، ثم انفجر بنا العمل ودفقنا فوق هير فغطسنا فأخرجنا محارا فقلقنا فاذا لؤلؤة الرأس ..

ولؤلؤة الرأس لؤلؤة كبيرة نفيسة لا تخرج على السفن إلا لماما ، ومن ظفر بها فقد ربح ربحا كثيرا وعوض خسارته وقضى دينه وأغنى بحارته ، وحملناها إلى النوخذا لنسره ويفرح بعد طول ذلك العناء ، فأمسك النواخذا اللؤلؤة الثمينة بيده ووضعها على كفه ينظر إلى ثروة ضخمة هبطت عليه وعلى سفينته فجأة . ونحن مسرورون فرحون نتخايل الثروة والنجاح وقضاء الدين والعودة إلى الأهل بربح وفير .. لكن ما راعنا إلا النوخذا يرمي باللؤلؤة الثمينة إلى البحر ...

وكان عجب صارخ ودهشة شديدة ، وذهول يتخافت عليه الجنون ... ثم صحنا :

— ترمي باللؤلؤة إلى البحر ؟؟ ..

وقال النوخذا :

— نعم .. رزق أتانا على ضلال وشطط لا نريده ... كنت غشيتني من الشيطان غشاوة فنهيتكم عن عبادة الله ، فأتاني الله بهذه الثروة امتحانا لي واستدراجا . ولكني استيقظت الآن وتذكرت ، وعلمت أني كنت ضالا ولئن قبلت هذه اللؤلؤة لأكونن قابلا رزقا جاء في الشطط والضلال ، فكلا .. !! اني أرفضه وأرجع إلى ربي مستغفرا تائبا ، انه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .

— ولكنك كنت قادرا على أن تستغفر ربك وتتوب إليه وترجع إلى دينك وعبادتك من غير أن ترمي بالثروة إلى البحر .

قال :

— كلا ، اني متبرم بهـــذا الرزق المدخول . يجيئني على ضلال وفسق ، ويحكم ، تصدقون الشيطان انكم مذ تركنا الصلاة رزقناه ولا تشعرون أن هذا قد يكون استدراجا من الله تعالى . واني لن أرضى عن نفسي حتى نتخلى عن كل ما يربطنا بالزمن الآنف المشئوم .

وران علينا الأسى ، ولفتنا غلائل الشقاء ، ولاحظ النوخذا ذلك ، فأخذ يتحبب إلينا ، ويقول :

— دعوا هذا ، وتعالوا نصلي ونقوم لله جميعا ، ثم نصنع القهوة ، ونتسلى ، ثم نصطاد ما نتغذاه ... هيا يا رجال .. أنسوا اللؤلؤة الثمينة ، واقصدوا بذلك وجه الله .

وقمنا فصلينا ، ثم جلسنا للقهوة ، ورمى بعضنا شبكة للصيد فخرجت سمكة كبيرة ، فرفعناها إلى السفينة ، وشققنا بطنها فاذا فيها لؤلؤة الرأس نفسها ..

يا لها من أيام ..

وكانت رحلة مفاجآت ... وكانت هذه أروعها وأحسنها .. لؤلؤة الرأس نفسها .. التي رماها النوخذا ابتلعتها هذه السمكة فاصطدناها نحن واسترجعنا ثروتنا ، وحملنا اللؤلؤة ثانية إلى النوخذا ، فقال وهو يبتسم :

أما الآن فنعم ، رزق جاءنا على توبة ، ورجوع إلى الله ، فنقبله ، ونحمد الله تعالى ، وأنظروا أيها الرجال كيف شكر الله تعالى وجزاؤه التائبين المستغفرين ، لقد عاد الينا كل شيء ، ولكن بعد أن صححنا النية وأبعدنا عنا هواجس الشيطان ، فالحمد لله ثم الحمد لله .

وسكت الشيخ البحار في المجلس ، وأطرق الشبان يتأملون .. لقد كانت أياما حاسمات على شاطئ هذا الخليج ، وهزت اعجابهم تلك اللؤلؤة التي صعدت ونزلت غير مرة .. بين صعودها ونزولها حفيف الكفاح وسورة المعاش وامتداد الرجاء ، وصعدت ونزلت إلى سفينة فيها رجال — والحمد لله — مؤمنون إذا شدتهم الدنيا إليها ، تركوها وآثروا الآخرة □

أخبار الكتب

* مازالت كتب التراث تستأثر بعناية المحققين والناشرين على حد سواء ، لأنها تمثل الأصول الأساسية للأدب ، ولأن قدامى العلماء صبّوا فيها علمهم الخالص لوجه العلم ولم يتوخوا بها التماس مآرب وقتية تمليها الاعتبارات اليومية الجارية .

ومن أحدث ما ظهر من كتب التراث طبعة جديدة لكتاب « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » للعلامة الراحل الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، و « لامية العرب » للشنفرى تحقيق الدكتور عبد الحليم الحفني ، وقد نشرت الكتابين مكتبة الآداب .

ويظهر قريبا من تحقيق الدكتور يوسف بكار كتابان هما « شعر اسماعيل ابن يسار » وتصدره دار الأندلس في بيروت ، و « شعر زياد الأعجم » نشر دار المسيرة في بيروت .

* من الكتب الدينية الجديدة كتاب « حكم وأحكام السيرة النبوية » تأليف فضيلة الشيخ عبد الله عبد الغني خياط ونشر دار الرفاعي في الرياض ، و « النظرة الاجتماعية في الفكر الإسلامي » للدكتورة زينب رضوان ونشر دار المعارف .

* أحدث المعاجم التي صدرت في اللغة العربية هو « قاموس الفولكلور » للدكتور عبد الحميد يونس ، وهو عربي / عربي . وقد نشرته مكتبة لبنان .

* ومن الكتب التي تتناول دراسة الشخصيات والسير ظهر كتاب « العلامة اللغوي ابن فارس الرازي » للدكتور محمد مصطفى رضوان ونشر دار المعارف ، و « ذكريات ووجوه » وهو من قبيل السيرة الذاتية لمؤلفه الرائد المسرحي الأستاذ زكي طليمات ونشر الهيئة المصرية ، و « برتراند رسل : عظماء وأحلام مزعجة » وقد ترجمه الدكتور نصار عبد الله ونشرته دار المعارف .

* كما صدر الجزء الثاني من كتاب « مواكب الذكريات » وهو سيرة ذاتية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وقد نشرته مطابع الأزهر بمقدمة للأستاذ جعفر الخليلي .

* أكثر الدراسات الجديدة التي صدرت تتناول الأدب وتاريخه وقضاياه ومصادره ومنها : « الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي » طبعة جديدة للدكتور يوسف خليف ونشر دار المعارف ، و « مع الشعراء في جدّهم وعبثهم » للأستاذ عبد الله زكريا الانصاري ونشر مطابع دار اليقظة في الكويت ، و « مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي » للدكتور حسين عطوان ونشر دار المعارف ، و « أوزان الشعر والقافية » للأستاذ محمد خلاد ونشر عمّان ، و « دراسة الحب في الأدب العربي » للدكتور مصطفى عبد الواحد ونشر دار المعارف ، و « ينابيع الفكر المصري المعاصر » للدكتور عبد الفتاح الديدي ونشر مكتبة الانجلو المصرية ، و « توفيق الحكيم الساخر » وهو مختارات من كتابات توفيق الحكيم صدرت في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف ، و « حديقة الحيوان » و « حديقة النسل » وهما دراستان في لزوميات المعري صدرتا في دمشق للأستاذ الياس سعد غالي ، و « الاعراب والرواة » للدكتور عبد الحميد الشلقاني ونشر دار المعارف ، و « المدخل إلى المسرح العربي » و « المسرح في مجال الأدب وعلم النفس » وهما دراستان للدكتورة هند قواص ونشر دار الكتاب اللبناني المصري ، و « نبض الفكر » وهو دراسات للأديب الراحل صلاح عبد الصبور بمقدمة للدكتور عز الدين اسماعيل ونشر دار المريخ بالرياض ، و « الأدب الامريكي أو رؤية عالمية » ترجمة الدكتور نظمي لوقا ونشر دار المعارف وكتابان عنوانها « قبسات من الأدب المهجري » نشرهما الأستاذ نعمان حرب ، يدرس في أولهما الأديب حنا جاسر وفي الثاني الأديب فارس بطرس ، وقد صدر الكتاب في دمشق .

كما تصدر للدكتور يوسف بكار عن دار الاندلس في بيروت طبعة ثانية من كتابه الكبير « اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري » وكتاب « قراءات نقدية » وكتاب « قضايا في النقد والشعر » ، وطبعة ثانية من كتاب « بناء القصيدة العربية » .

أخبار الكتب

* من الدواوين الجديدة ديوان « لابد » للشاعر الراحل محمود حسن اسماعيل وقد نشرته دار المعارف ، وديوان « ايقاعات الهموم » للشاعر المغربي عبد الله كنون ونشر مطبعة سوريا بطنجة ، وديوان « سنابل حزيران » للشاعر فؤاد الخشن ونشر دار المعارف .

* من الكتب الصناعية والهندسية والتكنولوجية التي صدرت أخيرا : « الآلات المفكرة » للأستاذ وديع وهيب ساويرس ونشر دار المعارف ، و « التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي » للدكتور محمد السيد عبد السلام وقد صدر في سلسلة « عالم المعرفة » الكويتية ، و « الآلات الكهربائية وقايتها » للأستاذ زكريا عبود أمين ونشر دار المعارف ، و « المدخل لعلوم الجوامد » للدكتور رأفت كامل واصف ونشر دار المعارف أيضاً .

* من الكتب التربوية الجديدة كتاب « المهارات الدراسية » للدكتور محمد علي الخولي ، و « المراهقة » للدكتور حمدي الانصاري ، وكلاهما من نشر شركة مكتبات عكاظ .

* « فلسطين » في طوابع البريد ١٨٦٥ — ١٩٨٢ » كتاب مصور فيه سجل كامل لطوابع البريد التي صدرت باسم فلسطين في هذه الفترة . وقد اشترك في إعداده الدكتور نبيل علي شعث والأديبة حسناء رضا مكراش ونشرته دار الفتى العربي .

* أحدث ما ظهر من الكتب التي تتناول دراسات الاعلام من وجهة نظر عالمية كتاب « عالم بلا حواجز » وهو من تأليف محمد فتحي ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* طائفة من الكتب التي تتناول القضايا المعاصرة ظهرت في الأوان الأخير منها : « الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث » للدكتور حسن الخولي ونشر دار المعارف ، و « صراع القوى العظمى في القرن الافريقي » للأستاذ صلاح الدين حافظ وقد نشر في سلسلة « عالم المعرفة » الكويتية ، و « في المسألة الاجتماعية » للدكتور أحمد محمد خليفة ونشر دار المعارف ، و « معركة الأردين وقصة هبوط الحلفاء في نورماندي » للأستاذ موسى بدوي ونشر دار المعارف أيضاً .

* كتابان طبيان صدرا للدكتور حمدي الانصاري عن شركة مكتبات عكاظ هما « الاسعافات الأولية » و « أمراض العصر » ، ونشرت دار الهلال طبعة جديدة من كتاب « عشرون سنة في حجرة الاعترافات » وهو مذكرات الطبيب الأمريكي فردريك لويس وقد ترجمه العلامة الراحل الدكتور أمير بقطر .

* نشرت دار المعارف كتابين من كتب الفلسفة هما : « من الكائن إلى الشخص » تأليف الدكتور محمد عزيز الحبابي ، و « النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد » من تأليف الدكتور محمد عاطف العراقي .

* في الأدب الروائي بفنونه ظهرت الكتب التالية : « أنا وولدي » وهو رواية للأديبة الشاعرة جميلة العلايلي من نشر دار التأليف ، و « الفجر لأول مرة » رواية للأديبة اقبال بركة ونشر مكتبة غريب ، و « عندما يبكي الرجال » رواية للأستاذ أحمد فريد محمود ونشر مكتبة غريب أيضاً ، و « اللسان المر » مجموعة أقاصيص للأستاذ عبد الوهاب الأسواني ونشر دار المعارف ، و « بين الجرح والابتسامة » مجموعة أقاصيص للأستاذ مكي محمد علي ونشر الدار العربية للكتاب ، و « غجرية من أسيوط » مجموعة أقاصيص للأستاذ حسن عد المنعم ونشر دار المعارف ، وصدرت في سلسلة « فن المسرح العالمي » الكويتية مسرحية « شهر في القرية » تأليف ايفان ثور جينيف وترجمة الدكتورة سمية عفيفي ومراجعة الدكتور فوزي عطية محمد ، و « مختارات من المسرح الافريقي «الخادم» لفرديناند أويونو ، و «الزنزانة» لهارولد كمل ، وقد ترجم المسرحيتين الأستاذ نايف خرما وراجعهما الدكتور محمد اسماعيل المعراقي .

أخبار الكتب

* قضى الأستاذ الدكتور بدوي طبانه عمره كله في صحبة البلاغة يتخصص في دراستها ويدرّسها ويؤلف فيها حتى صار اسمه يقترن بالبلاغة والبيان ، وصار المتتلمذون عليه في الجامعات وفي ميادين البحث يعدون بالآلاف في عالمنا العربي ، لأن رسالته العلمية لم تقتصر على معهده الأول وهو دار العلوم في مصر ، بل شملت المملكة العربية السعودية والعراق والشمال الافريقي ، ولأن مؤلفاته في البلاغة وعلم البيان والنقد الأدبي قد أصبحت الركائز الأساسية للدارسين في ديارات العرب جميعا .

وكان طبيعيا أن يعكف الدكتور طبانة على إعداد « معجم للبلاغة العربية » يعرف فيه بألفاظ البلاغة تعريفا جامعا مانعا ، ويستشهد في ثناياه بالشعر والنثر لتجلية المعاني وترسيخها في الذهن ، واقتضاه ذلك أن يدير الحديث على نحو ألف لفظة وباب ، فأتى بذلك بعمل فذ ، وأغنى الطالبين عن مراجعة عشرات من الكتب لاستيضاح معنى غمض عليهم من معاني البلاغة أو البيان العربي .

ويقع هذا المعجم الموسوعي في جزءين ضخمين ، وقد صدر في طبعته الأولى في صعيد محدود ، فعزّ اقتناؤه .. أما الطبعة الثانية الجديدة فقد توسعت في مادتها واضافت فنونا بلاغية جديدة إلى متن المعجم ، وصدرت في طباعة أنيقة عن دار العلوم للطباعة والنشر في الرياض . وهو اضافة ثمينة إلى ذخيرة العرب من المعاجم .

* عقب وفاة العلامة الأستاذ عجاج نويهض في أواخر يونيو ١٩٨٢ ، عكفت زوجته السيدة أم خلدون وكريمته السيدة بيان نويهض الحوت على جمع تراث هذا المفكر العظيم من مفكري الأمة العربية ، ولاسيّما تراثه الذي حالت وفاته دون اخراجه ، وهو يتمثل في مذكراته التي أملاها بنفسه ، ودراساته الإسلامية والتاريخية والأدبية التي كتبها في نصف قرن ويزيد ، وكتاب ضخم عن العلامة الراحل الأمير شكيب أرسلان الذي كانت تربطه به صلة وثقى ، وكتاب آخر عن حياة مفتي القدس الراحل الحاج أمين الحسيني الذي لازمه أربعين عاما .

* صدرت للعلامة الأستاذ محمد عبد الغني حسن عن دار المعارف طبعة جديدة من كتابه « علم التاريخ عند المسلمين » ، كما تظهر له قريبا طبعة جديدة موسّعة من كتابه « علم التاريخ عند العرب » .

* من الكتب الجديدة التي تعالج الفنون ما يلي : « القيم الجديدة في العمارة الإسلامية » للدكتور ثروت عكاشة و « تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام » للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي ، و « الفن اليوم » تأليف هربرت ريد وترجمة الأستاذين محمد فتحي وجرجس عبده ، وقد نشرت دار المعارف هذه الكتب الثلاثة .

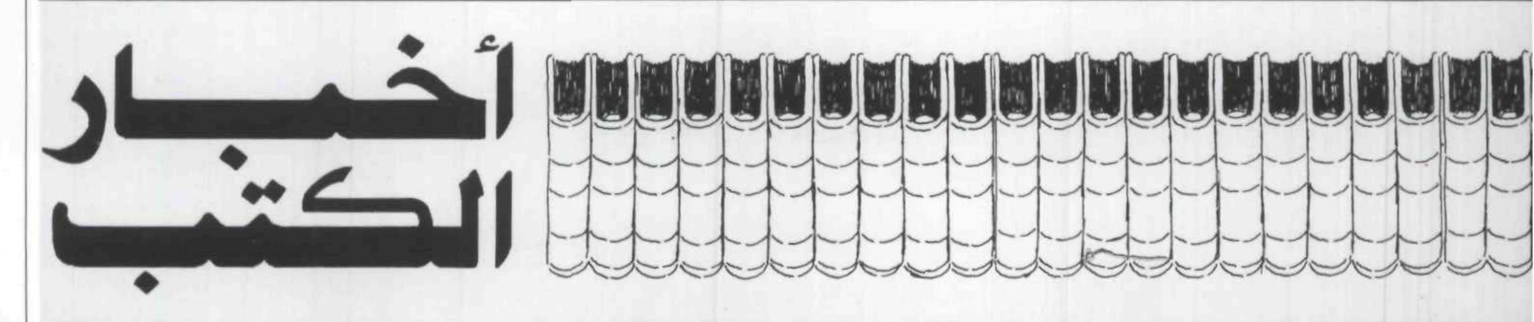
وفي الوقت عينه صدر في مدريد باللغة الأسبانية كتاب عن « الفن المصري المعاصر » كتب مقدمته الناقد الفني الأسباني خوليو تريناس وتناول فيه بالدراسة والعرض أعمال طائفة من الفنانين المصريين المعاصرين منهم عباس شهدي ولويس فلسطين وعفاف أحمد كامل وحامد عويس ورباب نمر وعبد الفتاح عزازي وعبد القادر مختار وآمال أحمد كامل وغيرهم . والكتاب مطبوع طبعا أنيقا وفيه نماذج من أعمال هؤلاء الفنانين .

* صدر كتابان عن التنمية اللغوية ، أحدهما في تونس وعنوانه « التنمية اللغوية في المرحلة الأولى من التعليم الثانوي » وهو من تأليف الأساتذة أحمد صوة وعبد الرزاق الحليوي ونزيهة زروق بن حسين ومن نشر المعهد القومي للعلوم والتربية في تونس ، والثاني في مصر وعنوانه « اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان » للدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ونشر دار المعارف .

* عني الدكتور الطاهر أحمد مكي بتراث ابن حزم الأندلسي عناية خاصة ، فحقق بعض آثاره ودرس بعضها دراسة مستفيضة .

ففضلا عن تحقيقه لكتاب « طوق

أخبار الكتب



الحمامة » لابن حزم ، أصدر عنه دراسة ضخمة عنوانها « دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة » استعان في اعداده بمراجع عربية وأسبانية وبرتغالية وفرنسية ، فجاء الكتاب موسوعيا في مادته .

كما حقق الدكتور الطاهر مكي كتـــاب « الأخلاق والسير في مداواة النفوس » لابن حزم وقدم له وشرح نصوصه وعلّق عليهـــا باستاذيـــة دارية .

وقد صدر هذان الكتابان عن دار المعارف .

* صدر كتابان جديدان من كتب الترّاث هما « شعر منصور النمري » جمع وتحقيق الأستاذ الطيب العشاش وقد نشره مجمع اللغة العربية في دمشق في جزءين ، وكتاب « السبعة في القراءات » لابن مجاهد وتحقيق الدكتور شوقي ضيف ونشر دار المعارف .

* في السير والترّاجم ظهرت الكتب التالية « محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية » للدكتور سيد رضوان علي ونشر الدار السعودية للنشر والتوزيع ، و « الإمام علي وأخلاقيات الفارس » للأستاذ مأمون غريب ونشر مكتبة غريب ، و « ابن بطوطة ورحلاته » للدكتور حسين مؤنس ، و « يوسف أدريس والمسرح العربي الحديث » للدكتورة نادية رؤوف فرج والكتابان الأخيران من نشر دار المعارف .

* كما اصدرت مجلة « الفكر » التونسية عددا خاصا عن القاص التونسي البشير خريف تضمن الكلمات التي قيلت في تكريمه بمناسبة بلوغه الخامسة والستين من العمر ، وفي طليعة هذه الكلمات رسالة السيد البشير بن سلامة وزير الثقافة التونسي .

* من الكتب الدينية التي صدرت أخيرا : « من وحي رمضان » للعلامة الأســتاذ أحمد عبــد الغفور عطــار ونشر بيروت ، و « ١٠٠ سؤال وجواب للشيخ الشعراوي » من إعداد الأستاذ ابراهيم مصبح ونشر سلسلة « اقرأ » ، و « السنة في مواجهة الأباطيل » للأستاذ محمد طاهر حكيم وقد صدر في سلسلة « دعوة الحق » التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي ، و « تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة » وهو في جزءين من تأليف الدكتور أحمد السعيد سليمان ونشر دار المعارف ، و « مسلمون بلا مشاكل » للأستاذ عبد الرزاق نوفل ونشر دار الشروق ، و « القرآن وعلم النفس » للمرحوم الدكتور محمد عثمان نجاتي ونشر دار الشروق أيضاً .

* يصدر قريباً للشاعر العراقي الأستاذ عبد الخالق فريد ديوانه الجديد « مرافىء الأشواق » وقد صدر أخيرا ديوانان هما : « اشارات الظمأ وخطوط الرماد » للأستاذ ظافر الحسن ونشر دار نعمان للثقافة ، و « الابحار برغم الاعصار » للأستاذ رجب بن مهني وقد نشر في سلسلة « الأخلاء » التونسية .

* « تاريخ التعليم في الأندلس » عنوان دراسة جامعية ضخمة صدرت للدكتور محمد عبد الحميد عيسى عن دار الفكر العربي .

* صدرت ترجمة جديدة لروايـــة « جوستين » من تأليف لورنس داريل ، وهي حلقة من الرباعية المعروفة باسم « رباعية الاسكندرية » . والترّجمـــة الجديدة من إعداد السيدة تماضر توفيق ونشر دار المعارف ، أما الترّجمة السابقة فهي للسيدة سلمى الخضراء الجيوسي ونشر دار الطليعة ببيروت .

* ومما يدخل في باب الأدب الروائي « خرافات ايسوب » وقد صدرت لها ترجمة جديدة عن دار الفتى العربي بقلم الأستاذ عبد الفتاح الجمل وكانت قد صدرت لها ترجمة سابقة عن مكتبة مصر من عمل المرحوم الأستاذ مصطفى السقا والأستاذ سعيد جودة السحار .

كما صدر كتاب « حكايات خرافية عن أمريكا » لفرانك بوم من ترجمة الأديبة صفاء زيتون ونشر دار الفتى العربي.

كتب مهداة

* « الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس » للأستاذ نبيل عبد الحي رضوان . وقد تناول فيه المؤلف حماية العثمانيين للمقدسات الإسلامية في منطقة غرب الجزيرة العربية وأهمية المحافظة على نفوذهم فيها ضمانا لزعامتهم للدول الإسلامية واستمرارا لاحتفاظ السلطان العثماني بلقب خادم الحرمين الشريفين . كما يبحث الكتاب في وضع غربي الجزيرة العربية قبل افتتاح قناة السويس وصراع الدول الكبرى للسيطرة على القناة بعد افتتاحها لما لها من أهمية في ربط الشرق بالغرب ، وقد خصص الكاتب فصلا حول أساليب الدولة العثمانية لتثبيت سيطرتها على الحجاز وغربي الجزيرة العربية وعوائق استكمال نفوذها على تلك المنطقة . ويتضمن الكتاب دور نجد قلب الجزيرة العربية والقوة المتنامية فيها على يد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، وقد صدر الكتاب ضمن سلسلة رسائل جامعية ، التي تصدرها مطبوعات تهامة □



* « جهاز الكلية الصناعية » للدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر ، ويأتي هذا الكتاب ليسد نقصا واضحا في المكتبة العربية حول هذا الموضوع ، وفيه فائدة لمرضى الكلى وذويهم والممرضات والأطباء وكل من يود الوقوف على جهاز الكلية الصناعية واستخدامه في مرض هبوط الكلى ، وهو من مطبوعات تهامة □



* « الوحدات النقدية المملوكية » للدكتور سامح عبد الرحمن فهمي ، وهو كتاب يتناول فيه مؤلفه فترة وموضوعا هامين في تاريخ الدولة الإسلامية ، فهو بحث تاريخي مدعم بالوثائق ، كما يتناول واقع المسكوكات في عصر المماليك ، حيث شهد عيارها الاضطراب واختلفت فيه أسعارها وتعددت فيه قيمتها مما دفع أوربا إلى انتهاز هذا التدهور النقدي ودعاها إلى ضرب مسكوكات على الطراز الإسلامي حتى يتسنى لها انتزاع السيادة النقدية من الدينار الإسلامي . وقد صدر الكتاب عن تهامة ضمن سلسلة « الكتاب الجامعي » □



* « سلمان وسليمان » و « الطاقية العجيبة » للكاتبة السعودية الأستاذة فريدة محمد علي فارسي ، والكتابان عبارة عن قصص تثقيفية قصيرة فيهما حث على الفضيلة وتقريب مفاهيمها للناشئة في أسلوب قصصي شائق وعبارات سهلة سلسة .. وهما من اصدارات تهامة في سلسلة « كتاب للناشئين » □



* ضمن سلسلة « كتاب الأطفال » التي تصدرها تهامة صدرت حكاية بعنوان « السندباد والبحر » للأستاذ يعقوب محمد اسحق وهي من حكايات ألف ليلة

كتب مهداة

وليلة ، كما صدرت أيضاً قصة « تورتة الفراولة »ونقلها للعربية الأستاذ عزيز ضياء □



* « خلافة أبي بكر الصديق » للمرحوم الشيخ حسين عبد الله باسلامة ، وهو عبارة عن سجل حافل يسجل فيه المؤلف مرحلة هامة من مراحل التاريخ الإسلامي ولثاني رجل في الدعوة الإسلامية ، وهو واحد من الكتب القليلة التي تؤرخ لعصر أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وقد صدر الكتاب عن تهامة للنشر ضمن سلسلة « الكتاب السعودي » □



* صدرت الطبعة الثانية من « ديوان السلطانين سليمان والخطاب ابني الحسن ابن أبي الحفاظ المجوري » من امراء الاقطاعيات في اليمن وشعرائه البارزين في النصف الأول من القرن السادس الهجري . ويشتمل الكتاب على مجموعة من الأشعار التي تنبض بالحياة تتجلى فيها الروح العربية وصـولة الإمارة وتقاليد الفروسية وسمة البطولة وطابع الطموح . والكتاب يقع في ١٩٠ صفحة وهو من منشورات تهامة □



* « الموزون والمخزون » لأبي تراب الظاهري . من سلسلة الكتاب العربي السعودي واصدار إدارة النشر بتهامة ،



ويشتمل الكتاب على العديد من النوادر الأدبية وملح المتظرفين من الأدباء نثرا وشعرا ، ويقع في ٣١٤ صفحة □

* ضمن سلسلة « الكتـاب العربي السعودي » أصدرت موسسة تهامة الجزء الثاني من « سباعيـات » للأستاذ أحمد السباعي ، وهو الكتاب رقم (٧٣) في هذه السلسلة ، ويقع الكتاب في نحو ١٤٠ صفحة تحتوي على مقتطفات سبق نشر بعضها في الصحف والمجلات ومنها مجلة « قريش » التي كان يصدرها الأستاذ السباعي نفسه . وقد قام الأستاذ عدنان بن محمد الحارثي بتجميعها من بين الأوراق القديمة والقصاصات المتناثرة في أركان وزوايا مكتبة الأستاذ السباعي □



وتضم هذه المقتطفات نحو ٣٥ موضوعا ، بعضها مستقل بذاته ، وبعضها يتصل مع غيره من مواضيع الكتاب ، ومنها ما مضى على نشره سنوات طويلة ، غير أنها لاتزال لها نكهة الحديث الحديث. تذكر وتنصح وتحث وتؤرخ أيضاً □

هناك لن أعود طائراً غريباً

شعر: أحمد محمد المعتوق / فيلادلفيا

عيناك يا شقراء ، يا شحرورة الغـدير
وشاطئ الفيروز ، يا رؤى الجنـان
جنتي الخضراء ، ريفي الأثير
بحيرتي ، أرجوحتي ، وموسمي
ونغمة فاتنة تشب في الضلوع
يهفو لها الفؤاد في حنين

فراشتي ، أغنيتي ، أود لو أطير
أطير عبر الهدب للسناء
أذوب في الزرقة ، في الفضاء
أمر بالمروج الثم الورود
اعتصر العنقود ارشف الرحيق
أعانق الماس وأشرب العقيق

فراشة الحقل ودورق العبير
لقد أسرت قلب طائر غريب
طوى البحار والبحار كي يعود
إلى هناك بالمحار والعطور

وعـدت للحـدود
أجهش بالبكاء والدعاء
أمد قلبي للسماء
أسأله الغفـران ، استجير
جنتي العذراء ، معبدي القديم
وشاطئ الأحلام مرفأ النجوم
هناك قلبي خاطري أسير
أهفو لذلك الغدير
أتيه في العنبر والبخور
وفي الروابي السمر والصقور

عنـدي هناك واحتـان
وشاطئان تستحم فيهما النجوم
خميلتان أنسى فيهما العنـاء
وغنوتان تنضحان بالحنان
« في أفق عمري كوكبان »
قد أبحرت زوارقي هناك
فوق النجوم في بحيرة الضياء
هناك قلبي خاطري أسير

جنتي الفيحاء خلف هذه الحدود
تفتنني تأسرني خمرية الجناح
عصفورة الشرق وفتنة العصور
قيثارة الحب ومنبع الصفاء

قد أبحرت زوارقي هناك
هناك في انتظار
حورية البحـار
تحتضن الشراع والمجداف في حنين

هناك دفئ القلب وابتسامة الوليد
سأعبر البحـار والقفار
إلى مرافئ العطور
سواحل المسك حدائق الزهور
هناك لي أنشودة حاملة السناء
هناك لن أعود طائرا غريباً

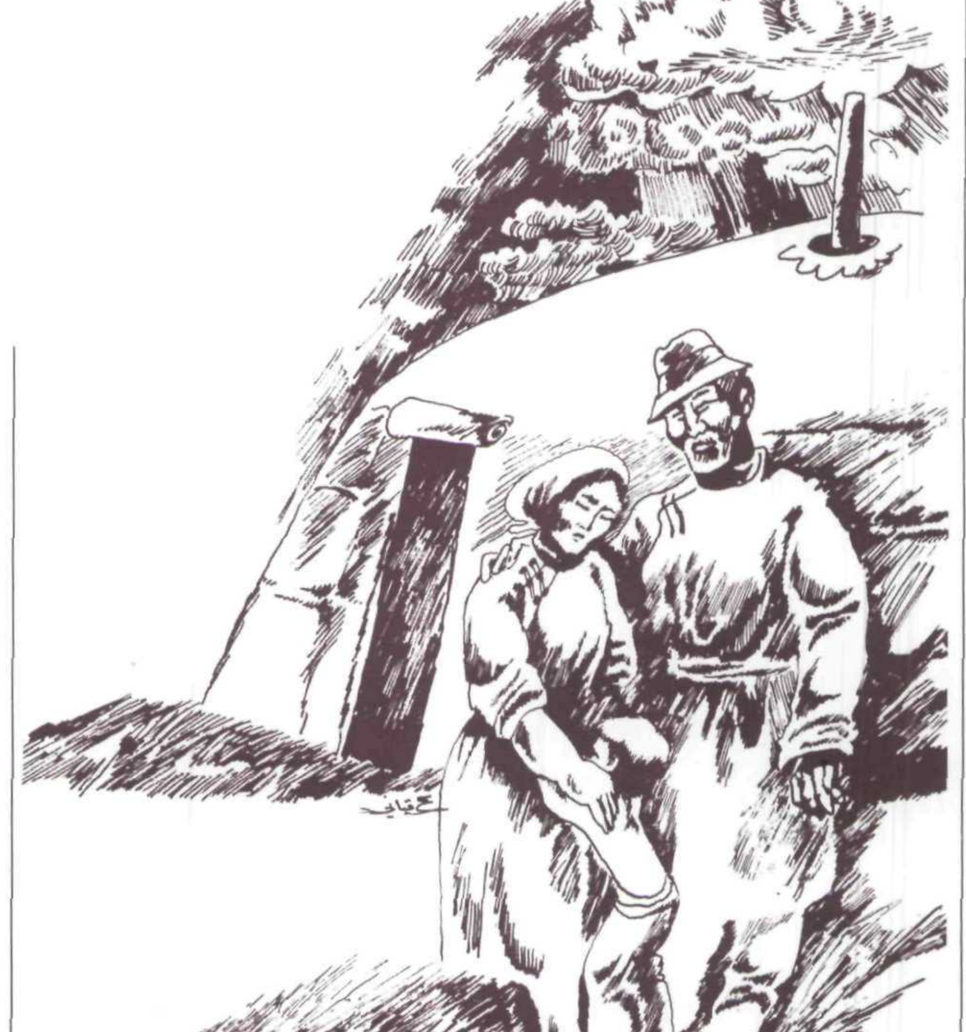


بيئة المغول وحياتهم الاجتماعية

(٦)

بقلم: د. سعد حذيفة / الرياض

تحدثنا في الحلقة الخامسة عن مسكن الإنسان المغولي ، وسنتحدث في هذه الحلقة عن طباع الفرد المغولي وأخلاقه ، وبيئته الاجتماعية.



طباع واخلاق المغول العامة

على الرغم من وجود طباع وأخلاق مشتركة بين أفراد البشرية جمعاء ، وفي كل مجتمعاتهم ، فإن هناك حقيقة لا مراء فيها وهي أن أي مجتمع من المجتمعات ، وفي أية بقعة من بقاع المعمورة ، يكاد ينفرد عن غيره من سائر الشعوب بأخلاق وطبائع تميزه وتجعله فئة معينة قائمة بذاتها . فإذا كان الفرد العربي قد اشتهر بالكرم والوفاء ، واغاثة الملهوف ، وإباء الضيم . فالانسان المغولي له أيضاً صفاته ، وأخلاقه ، وطباعه ، مثله في ذلك مثل أي انسان آخر . فقد يراها من الصفات الحسنة بينما نجدها تبدو على النقيض من ذلك ، سيئة ، ومدعاة للازدراء والاشمئزاز والنفور .

وهذه المعلومات التي ندونها هنا عن المغول ، نقلا عما كتبه أفراد ذوو ثقة في هذا الشأن ، شاهدوا المغول ، وعاشوا بين ظهرانيهم ، وعاشروهم فترة من الزمن ، كافية لمعرفة كل شيء تقريبا عن المغول ، ومجتمعهم في الزمن الماضي ،



كان الواجب الذي تحتمه التبعية للمغول تقديم الهدايا والولاء وعدا عن ذلك فكان الأذى والدمار الذي اشتهروا به .

والذي مايزال على طبيعته إلى وقتنا الحاضر إذ أن الشيء الذي كان يجري في مجتمعهم في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، يكاد يكون هو عينه يتكرر في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) . وإذا كان هناك أي تغيير ، سواء إلى الأسوأ أو إلى الأحسن ، فهو تغيير طفيف جدا ، وربما انه مقتصر على مجتمع المدينة الحديثة الوجود ، وعلى نطاق ضيق جدا .

وممن شاهد المغول وكتب عنهم ، شخصيات أوربية أمثال الراهب الرحالة « جون البلانو الكربيني » ، والقس الرحالة « وليم الربركي » ، و « بندكت » البولندي ، و « ماركوبولو » الايطالي وغيرهم ، وأخرى عربية واسلامية أمثال : « الجويني » ، و « رشيد الدين » ، و « ابن بطوطة » . فقد دون لنا هؤلاء الرحالة والمؤرخون ما شاهدوه من طبائع وأخلاق وصفات الانسان المغولي . وحول هذا الموضوع يذكر لنا « جون الكربيني » بأنه من العادات والطباع الطيبة لدى المغول الطاعة المطلقة للرئيس ، والتي لا يحظى بها أي رجل في العالم .

وهذه الصفات التي يتمتع بها الرجل في طاعته لسيده ، تنطبق على الفترة التي أعقبت تغير الأحداث السياسية ، والاجتماعية في منغوليا ، وذلك عندما ظهر « جنكيزخان » متربعا على عرش زعامتها ، وتوحيده القبائل تحت زعامته الفردية المطلقة ، وزعامة أبنائه من بعده . وهذه الحقبة من الزمن هي التي قام خلالها جون البلانو ، والبندكت البولندي ، ووليم الربركي ، وماركو بولو ، برحلاتهم المشهورة إلى منغوليا وإلى الأراضي التي خضعت لنفوذ سادتها من أسرة جنكيزخان . فقد شاهدوا بأنفسهم ، واطلعوا على ما كان يجري من معاملات أولئك الناس فيما بينهم من ناحية ، وبين غيرهم من ناحية أخرى .

ومن الصفات الأخرى التي نقرأها عنهم ، أنهم قوم لا يتجادلون ، قولا أو فعلا ، فيما بينهم ، إلا في حالات نادرة جدا . كما أن الاقتتال ، والتشاجر ، أو جرح أحدهم ، أو قتله ، كل هذه الأعمال تكاد تكون معدومة فيما بينهم ، بعد أن وحدهم جنكيزخان كأمة واحدة تحكم أمما وشعوبا متباينة الأصول والحضارات . فالفرد المغولي يكن لزميله المغولي التقدير والاحترام . ولذلك كانوا يتركون منازلهم ، وعرباتهم وما بداخلها من أشياء قيمة وثمينة ، دونما حام ، أو حارس يقوم على حفظها وصيانتها أو حمايتها .

أما إذا فقدت شاة ، أو عنز ، أو أي حيوان لأي شخص كان ، فانه يتحتم على الشخص الذي يجدها أن يتركها حيث كانت ويخبر أهلها عن مكانها ، أو أن يأخذها إلى مكان يمكن لصاحبها أن يجدها بحيث يمكنه العثور عليها دون صعوبة .

ومن مظاهر الود والتقدير والاحترام بين المغوليين انهم كانوا يتقاسمون الطعام فيما بينهم . وإذا ما دعي شخص إلى طعام ، حتى وإن لم يكن له معرفة بأصحاب ذلك الطعام ، فانه يتحتم عليه ، حسب العرف والتقليد الاجتماعيين داخل المجتمع المغولي ، تلبية الدعوة . وإذا ما مر بأصحاب الطعام أي شخص دون دعوته للمشاركة في طعامهم ذاك ، فان لهذا الشخص الحق في الذهاب إليهم والجلوس معهم على مائدة الطعام ، يأكل ما يشاء ، دون استئذانهم ،

ولا يجوز لهم محاولة منعه من تناول طعامهم . لأن منعه من مشاركتهم الطعام يعني منقصة وعارا بل وقلة أدب .

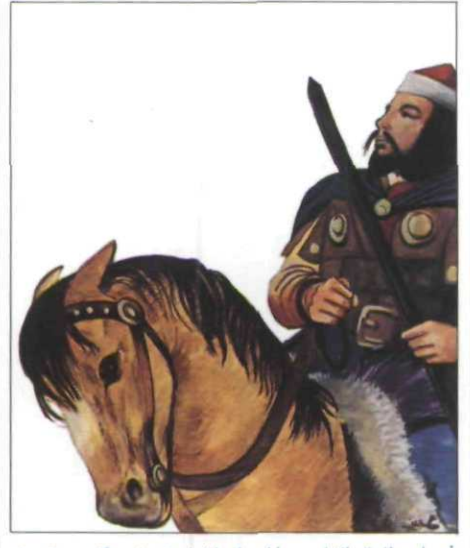
يتميز الانسان المغولي بصفات يكاد ينفرد بها عن غيره ، وهي شدة الصبر وطول الأناة ، وإذا ما تعذر عليه الحصول على طعام فانه يستطيع أن يبيت يوما أو يومين على الطوى دون أن يرى عليه أثر الجوع ، أو نفاد الصبر ، بل تراه يغني ، ويمرح ، وكأنه ممتلىء البطن ، كما أنه يستطيع مواصلة ركوب الخيل لفترة طويلة لعدة أيام وليال ، فينام ويستيقظ وهو على صهوة جواده . كما يمتاز الانسان المغولي في تحمل شدة البرد القارس ، والحر الشديد اللافح .

ان الشعور بالحسد والغيظ من قبل الفرد المغولي تجاه أخيه المغولي لا مكان له في قلوبهم ، ويكاد يكون معدوما ، كما أن حيـــاة الترف والاسراف والبذخ والسعي لا وجود ولا مكان لها في مجتمعهم .

وعلى النقيض من ذلك ، فانهم يحتقرون غيرهم من الشعوب والمجتمعات الانسانية الأخرى لاعتقادهم بأنهم صفوة مختارة بين سائر المجتمعات الأخرى . ومازالت هذه النظرة ، متأصلة في نفسية الفرد المغولي حتى وقتنا الحاضر . فهم يتغنون بالماضي المجيد ، وينظرون إلى غيرهم من الشعوب الأخرى نظرة احتقار وازدراء ، حتى وإن كانوا أهل حضارة ورقي وعلم . ولعل أبرز ما تتجلى فيهم هذه الصفة المقيتة ما كان يظهره خاناتهم المغول من تصرفات رعناء في معاملاتهم للزائر من أمم وشعوب أخرى ، ملكا كان أو سلطانا . فلا يستقبلونه بما يليق بمكانته من حفاوة وتكريم ولا يظهرون أي احترام نحوه (١) .

لعل ما أورده لنا الرحالة في هذا الشأن هو أنه قد فاتته حقيقة جوهرية هنا على ما يبدو ، وهي أن الخان المغولي كان يعتبر ذلك الانسان الزائر ، من غير المغول ، ملكا كان أو سلطانا أو رجلا عاديا ، بأنه مجرد واحد من رعايا الخان المغولي وأتباعه في عاصمة بلاده « قرا — قروم » ، قد جاء إليه صاغرا ليدفع له الأموال وما غلا ثمنه كجزء من الواجب الذي تحتمه التبعية ، وذلك لكي يضمن سلامته وسلامة أرضه من الأذى ، والدمار ، ويبقى قومه وشعبه من ورائه حتى يأتي عليهم المغول ، ليلحقوا بهم الدمار الذي

(١) جون البلانو الكربيني ، تاريخ المغول « البعثة المغولية » ، ص ١٤ — ١٥ .



في استطاعة الفارس المغولي المداومة على ركوب الخيل لفترة طويلة ولعدة أيام وليال .

اشتهر به المغول ولاسيما في عنفوان قوتهم ابان وبعد عهد جنكيزخان . كما كان المغولي يعتقد بأن العالم لم يخلق إلا من أجله ، ومن أجل خدمته وتنفيذ أوامره ، وما يراه الخان والقادة المغول . فقد كان هذا الشعور سائدا لدى المغول في هذه الفترة بالذات ، والتي يحدثنا « جون » عنها .

وهكذا نرى أن المغول قوم في منتهى الجشع والطمع ، فهم شديدو الالحاح في طلباتهم ، وفي ابتزاز ما لدى الغير ، وهم قوم بخلاء لدرجة أن الواحد منهم يضن على غير المغولي حتى بشربة ماء قد يكون فيها انقاذ حياة ذلك الانسان .

قبائل المجتمع المغولي الرئيسية

ترتكز البنية الاجتماعية للمغول ، على النظام القبلي ، حيث تتكون من جماعات متناثرة هنا وهناك في شتى أنحاء الأراضي المغولية ، مشكلة بذلك بما يعرف في مجتمعنـــا بـ « قبائل » . وتختلف تلك القبائل المغولية ، كل واحدة عن الأخرى ، من حيث الحجم ، وعدد فخوذ وبطون وعدد أفراد القبيلة . فقد تكون القبيلة كبيرة جدا ، وهي بذلك تكون مجتمعا أقرب إلى الدولة منه إلى القبيلة . وقد تكون القبيلة صغيرة جدا ، ولا يتعدى أفرادها — في مجتمعهم — العشرة ، تعيش في بقعة معينة بعيدة عن القبائل الأخرى . وفي الحقيقة ، فقد يكون هناك مجتمع قائم بذاته لا يتعدى أفراده الأسرة الواحدة ، والمكون من الرجل والمرأة ، وأولادهما ، وأتباعهما — إن كان لهما أتباع . فهو مجتمع يعيش بمعزل عن بقية المجتمعات القبلية الأخرى .

تعتبر قبيلة النيمان ، أو مملكتا النيمان — الشرقية والغربية ، من أكبر المجتمعات القبلية في منغوليا . وكانت مجموعة قبائل هذه المملكة المختلفة تعيش في المنطقة الواقعة بين المناطق العلوية لنهري « قرا — ارتش » و « أورخان » ، أي في أقصى الجهة الغربية من منغوليا إلى الشمال من سلسلة مرتفعات جبال الطائي العالية (٢) .

قد يلي مملكة النيمان ، إن لم تكن مثلها في المكانة ، مجموعة قبائل مغولية أخرى عرفت في التاريخ المغولي بـ « الكرايت » . وكانت هذه القبائل تعيش في النواحي الشرقية من أراضي النيمان ، أي في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من نهري « أورخان » و « سلنكا » . ويقع إلى الشمال الشرقي من أراضي قبائل الكرايت مساكن ومراع ومنتجعات قبائل المركيت . وتقع مواطن هذه القبيلة شمالي منطقة التقاء مياه نهري « أورخان » و « سلنكا » أي المناطق السفلية لنهر « سلنكا » المذكور ، وإلى الجنوب من بحيرة بيكال (٣) .

لقد كانت مجموعة قبائل « أويرات » تعيش في الأدغال والغابات الكثيفة الواقعة إلى الشمال من موطن قبائل المركيت ، وإلى الغرب والشمال الغربي من بحيرة بيكال . وهي قبائل بدائية جدا مازالت تعيش حياة الصيادين داخل غابات منطقة بيكال الروسية في الوقت الحاضر (٤) .



مقاتل منغولي بلباسه التقليدي في جيش جنكيز خان .



الجمال والخيل تستعمل كثيرا في صحراء كوبي بمنغوليا .

أما الموطن الأصلي للمغول ، فهو الذي حدد في المنطقة الواقعة إلى الشرق من بحيرة بيكال وقبائل « المركيت » ، والتي تقع بين نهري « أونون » و « كرولن » فتحتله قبائل المغول الأصلية . وقد عدد لنا رشيد الدين ، بطون هذه القبائل وفخوذها فبلغت أكثر من خمسة عشر بطنا ، وثماني عشرة فخذا .

أما فيما يتعلق بالمناطق الشرقية من الأراضي المغولية فتكاد تكون قبائل التتر هي القوة الوحيدة المسيطرة عليها ، وهي المناطق الواقعة إلى الجنوب وإلى الشرق من نهر « كرولن » . وقد صنف الصينيون ، قبائل التتر هذه إلى طوائف ثلاث . طائفة « التتر البيض » وقد كان أفرادها يعيشون إلى الجنوب الشرقي من منغوليا ، والمحاذية أراضيهم لتخوم الحدود الشمالية . وطائفة « التتر السود » ، وكان يعيشون إلى الشمال من الأولى . وطائفة « التتر المتوحشون » ، أو ساكنو الغابات ، وهم الذين كانوا يعيشون في الغابات والأدغال . حيث يختلفون عن بقية قومهم ، إذ يمتهنون حرفة الصيد ، كالقبائل البدائية في شمال البلاد « أويرات » □



غربي بحيرة بيكال (الروسية حالياً) كانت تسكن قبائل اويرات المنغولية . وهي مناطق ذات غابات وادغال كثيفة .



الموطن الأصلي للمغول كان شرق بحيرة بيكال ومنها قبائل المركيت وقبات حيث ينتمي إليها جنكيزخان .

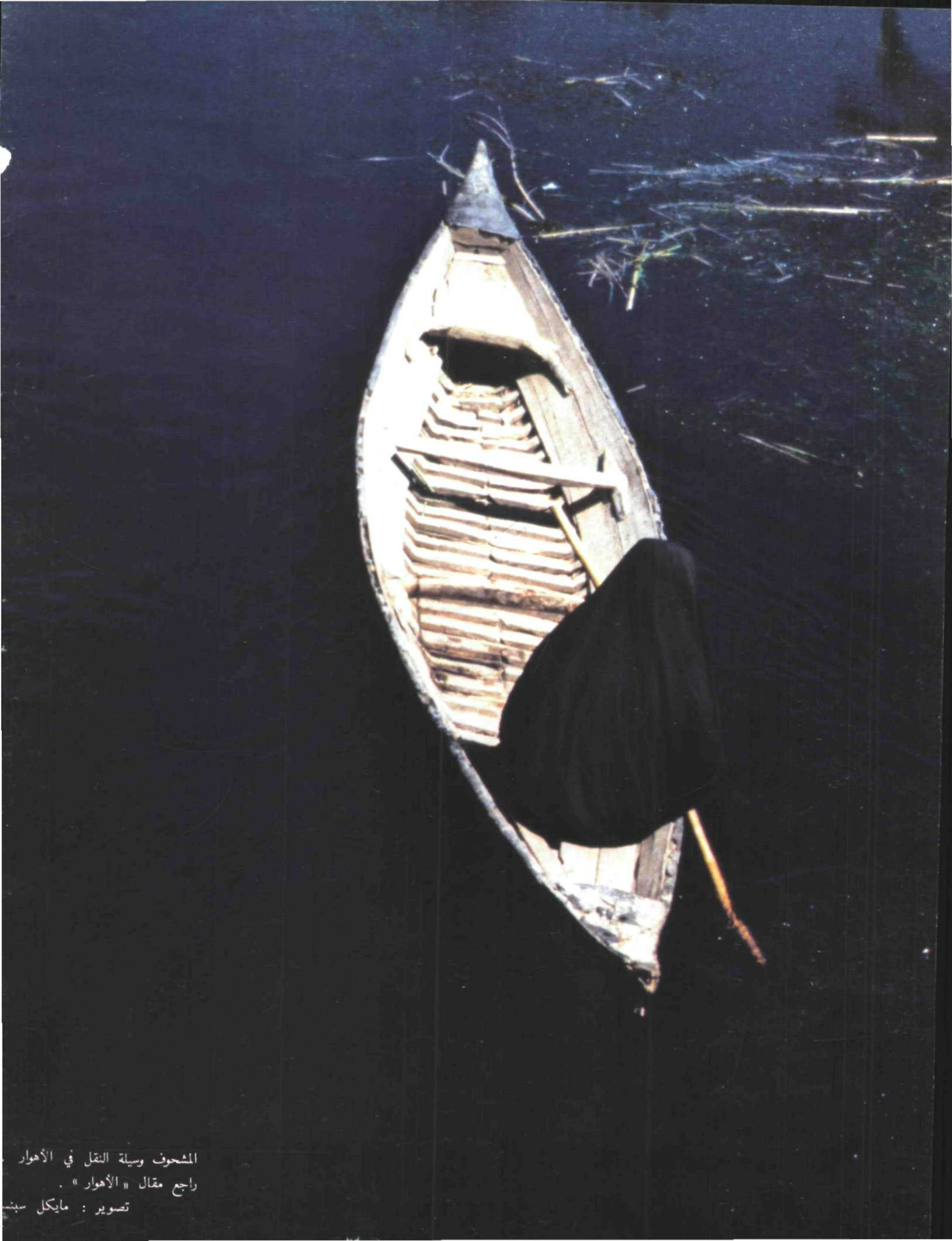
(٢) لمعلومات اضافية عن هذه القبيلة ، أنظر ما قلناه في هذا الصدد في كتابنا « سقوط الدولة العباسية » ، ص ٧١ — ٧٥ .

(٣) حول هذه القبيلة ، أنظر : رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج ١ / ص ٧١ — ٧٤ .

(٤) أنظر المرجع السابق ، ص ٧٦ — ٧٧ .



منزل منغولي حديث يتمثل
فيه الطابع التقليدي القديم
في البناء والزخرفة .



المشحوف وسيلة النقل في الأهوار
راجع مقال « الأهوار » .
تصوير : مايكل سبنس